المعنى والمرجع في علم الدّلالة
ـ دراسة نقدية ـ

أ.م . د . أحمد رسن صحن
كلية الآداب /جامعة البصرة

الخلاصة:

طُرحتْ في علم الدلالة إشكالات متعددة على دراسة المعنى وربطه بالمرجع (الشيء الخارجي) تتمثل في :-

١- المعنى هو المرجع. وتبيّن كذب هذا الإشكال للفرق الواضح بين المعنى في الذهن والشيء في الخارج. ويستحيل انتقال المرجع إلى الذهن.

٢- للمعنى الواحد أكثر من مرجع واحد ، فلا يحدّد اللفظ مرجعه. واتضح أنّ المعنى يعكس حقيقة خارجية واحدة أُنتزع المعنى نفسه منها.

٣- المعنى لا ينقل الحقيقة مباشرة . وظهر أنّ المعنى صورة ذهنية تكشف خصائص الأشياء وحدودها وحقيقة المرجع لا تصل إلى الذهن بواسطة المعنى لاستحالة ذلك.

٤- الألفاظ لا معنى مستقل لها قبل الاستعمال. وهذا الاستعمال يُعطيها المعنى. وأجاب البحث بأنّ قسماً من الألفاظ موضوعة للمعاني المستقلة. وهذا المعنى يُفهم من الألفاظ خارج الاستعمال مباشرة. والاستعمال لا يُعطي معنى للفظ المهمل الخالي من المعنى. فيثبت أنّ المعنى موجود في اللفظ قبل الاستعمال. وهذا المعنى المستقل أخذه الذهن من شيء خارجي.

٥- الجهل بمرجع الحروف ، واتضح في البحث أنّ الحرف له معنى رابط بين مفهومين مستقلين. ولا يحمل معنى مستقلاً خارج التركيب.

وأثبت البحث أنّ وجود المرجع في البحث الدلالي أساس ، فنتج عن ذلك ما يأتي :-

١- لا يحصل الذهن على معنى من غير مرجع.

٢- تعدد المرجع تبعاً لاختلاف وجوده كالمرجع الحسي والمجرد والوهمي واللفظي.

٣- أقسام الدلالة لها مراجع خارجية قد يكون المرجع مباشراً كما في الدلالة المعجمية التي انتزعت منه مباشرة. أو مرجع غير مباشر كما في الدلالة الصرفية والنحوية.

٤- الأسماء والضمائر لها مراجع مشخصة ، ولا تدل على أكثر من مرجع في الجملة.

٥- الجملة الخبرية لها أكثر من مرجع يتمثل في مراجع المعاني المستقلة لكلماتها. ومرجع النسبة التامة الذي هو وجود رابط هو النسبة الخارجية.

٦- الجملة الإنشائية لها نسبة تامة ذهنية. وليس لها نسبة خارجية ، فليس لنسبتها الذهنية مرجع خارجي.

مدخل

هذا البحث محاولة اقتراب من فهم العلاقة الجدلية بين (اللفظ ومعناه) وبين الشيء المدلول عليه بذلك اللفظ . يعتمد على الوضوح الدّلاليّ والدّقة في بيان المفاهيم المتداولة في علم الدّلالة الحديث ويبتغي البحث أنْ يكشف فلسفة إيجاد تلك المفاهيم وربطها بالواقع الذي اتّجه إليه الذّهن ؛ لاقتناص مفاهيمه.

وليس هدف علم الدّلالة في قناعة الباحث المعنى فقط ؛ فالمعنى أمر أساس في نقل الصور الذهنية في التفاهم الإنساني عامة. ولكنّ الإنسان لا يعيش الحياة الذّهنية أو الخيالية المجردة عن ما يحيط به من أشياء و موجودات قريبة منه أو بعيدة . ولا يتولّد المعنى من فيض نفسه. ولا من معنى آخر يكون سبباً لإنتاجه دائماً. وكل العقلاء يتعاملون بالمعاني من أجل أمور أعلى شأناً وأثمن قيمةً من المعنى عينه في رفع الإنسان من واقع أدنى إلى آخر أعلى كمالاً وقوةً وسعادةً.

لذلك يرى الباحث أنّ موضوع علم الدّلالة المعنى ومرجعه الذي أُنتزع منه ؛ لتكتمل الوظيفة الدّلالية في الربط بين الفرع المنتزَع والأصل المتقدّم عليه في الوجود والفعلية. ولولا ذلك الوجود لما ظهر المعنى. ولا نال قطرةً من سمة الوجود والتحقّق. وأدلّ دليل على صدق هذه القضية هو الوعاء الذّهني الذي لولاه لما استطعنا أنْ نحصل على مفهوم واحد. فبفضل وجود الذهن عند الإنسان وُجدت المفاهيم المفردة والمركبة. وهل يرسو الذهن على موقف معين حين لا يدري أيَّ شيء يرجع إليه المعنى؟ سيكون المعنى فاقداً للمعنى إنْ لم يكن له مرجع يأوي إليه أيّاً كان موقع ذلك المرجع في صفحات الوجود. وهل يقدر الذّهن أنْ ينتزع مفهوماً من عدم غير مفترض ؟. أي لا يمكننا أنْ نُوجد أيَّ مفهوم إذا كنا فاقدين لوعاء الفرضيات ، ومكان حضور المفاهيم وهو العقل. فضلاً عن ما وراء أذهاننا من الموجودات التي ننتزع منها ما نشاء من الصور الذهنية عند العلم بها.

ولكي تكتمل دائرة علم الدّلالة واحتوائه على موضوعه يتّجه البحث لفهم العلاقة بين المعنى ومرجعه على نحو تفصيليّ محاولاً رفع الإشكالات التي طُرحتْ في طريق دراسة المرجع في البحث الدلاليّ. وتتمحور حركة البحث حول الوجود كونه الأصل الذي أدركه الإنسان بقواه المعرفية ومنه اقتنص المفاهيم والمعلومات ثم وضع لها ألفاظاً تدلّ عليها. وهذا البحث يحاول أنْ ينقد نظريات

استبعاد المرجع في الدرس الدلاليّ. ويرفع الإشكالات الموجّهة عليه من المحدثين. كما يقوم بربط المفاهيم بمراجعها عن طريق التحليل الدقيق سواء أكانت مفاهيم الكلمات أو مفاهيم الجمل كما أنه يُبيّن طبيعة المرجع وصفاته ومراتبه الوجودية.

تعريف علم الدّلالة

يذكر الباحثون في علم الدّلالة مجموعة من التعريفات نجمعها. ونُحلّلها من أجل أنْ نصل إلى تعريف جامع مانع نجعله قاعدة في البحث العلمي ، ومن التعريفات الدّلالية ما يأتي :-

الأول- دراسة المعنى.

الثاني : العلم الذي يدرس المعنى.

الثالث : فرع من علم اللغة يتناول نظرية المعنى.

الرابع : الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز؛ ليكون قادراً على حمل المعنى(١).

الخامس : دراسة لمعنى الكلمات(٢) وتفاصيله تتمثل بالدلالة اللسانية. فيدرس الكلمات في السياق اللغوي ، وماهية الكلمة والعلاقة بين شكل الكلمة ومعناها ، والعلاقة بين الكلمات وكيفية ضمان الكلمات وظائفها(٣).

السادس :((فرع من علم اللغة يدرس العلاقة بين الرمز ومعناه ، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخياً ، وتنوع المعاني ، والمجاز اللغوي والعلاقات بين كلمات اللغة))(٤).

السابع : العلم الذي يدرس المعنى على مستوى الكلمة والتركيب والعلاقة بين الكلمة والمعنى وتبدل المعنى وأسبابه وحياة الكلمة وشروط الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى(٥) وهو تعريف مركب من تعريفين يجمع بين الرابع والسادس.

الثامن : ((علم دراسة المعنى والجوانب التي تسهم في تشكيله))(٦).

نسلط أضواء التحليل على هذه التعريفات على النحو الآتي :-

١- الأول لا يصف هذا العلم بالعلمية. واقتصر على وصفه بالدراسة من غير تحديد لطبيعة الدراسة ، فهو تعريف عام يشمل كلّ دراسة للمعنى كالدراسات المنطقية والنحوية والبلاغية والمعجمية والنقدية والتفسيرية ونحو ذلك.

٢- الثاني وصفه بالعلمية ومع هذا الوصف يبقى الاشتراك مع العلوم الأُخر التي تدرس المعنى قائماً في هذا التعريف.

٣- الثالث وضع المعرَّف تحت علم اللغة ، فهو أكثر تحديداً من التعريفين السابقين . فلا يشترك مع العلوم غير اللغوية. ولكن البحث عن نظرية المعنى متداخل في علوم اللغة الأخُر كالبلاغة والنقد والمعجمية واللسانيات.

٤- الرابع مقتطع من سياقه. فلم يُبيّن فرعيته من أيّ علم هو؟ وصغّر دائرة البحث فيه بالشروط. ومن جهة أخرى وسّع مجاله في الرمز الذي يشمل اللغوي وغيره.

٥- الخامس يفقده صفة العلم كالأول. ويستبعد المرجع الخارجي في هذه الدراسة مستغنياً بالسياق اللغوي. وقيل : إنّ المرجعية أُهملتْ في علم الدلالة ، وكان التركيز على المعنى(٧).

٦- السادس أكثر دقة من التعريفات الأُخر. لوصفه بالعلمية ووظيفته الدراسة الجامعة للمعنى المفرد والمركب. ولكنه اقتصر على العلاقة بين الكلمة والمعنى . وهناك علاقة ثانية بين التركيب والمعنى ، ولم يتناول دراسة النظريات الدّلالية.

٧- السابع تعريف مركب من تعريفين يجمع بين الرابع والسادس. ويرد عليه ما ورد عليهما معاً.

٨- لم تظهر إشارة في هذه التعريفات إلى المرجعيات الدّلالية. فاختزل الواقع الخارجي وخلق ثغرة معرفية سيسعى البحث إلى سدّها في التعريف إنْ شاء الله تعالى بمنّه وتوفيقه.

ويركز البحث على قضية المرجع ؛ لأهميتها في المعرفة كونه الأساس في تكوين الدّلالة وإبعاده من الدرس الدّلالي يجعل الدّلالة هي المحور. وعندها يقف التحليل وينقطع السؤال المعرفي بسبب قناعة الباحث والمتلقي بالمعرفة الدلالية والمعاني. و((يركز اهتمامه على فهم اللغة أكثر من اهتمامه بالكشف عن الأشياء المعبّر عنها باللغة ... فتنشأ الظاهرة التي يسميها هيدجر باسم Gerede أي الثرثرة والكلام الأجوف والإشاعة والكلام الضحل الذي لا ينفذ إلى حقائق الأشياء. فتستحيل اللغة حينئذٍ من وسيلة إلى غاية ... وهذا من الأسباب الرئيسية* في سقوط الوجود الإنساني))(٨).

من هنا جاء هذا البحث ليوسع مفهوم علم الدّلالة بأنّه (العلم الذي يدرس المعنى اللغوي في ضوء سياقه اللغوي والخارجي(الذي يشكل جميع مراجع الدّلالة). ويدرس العلاقات الدّلالية والتطور الدلالي ؛ ليضع نظرية كلية فيه في ضوء المرجعية المتمثلة بعلاقة المعنى بمرجعه).

ولا يدّعي البحث أنّ علم الدّلالة لم يشر إلى المرجع. بل لدراسة المرجع في علم الدّلالة مباحث موجودة في كتب علم الدّلالة حاولت الدراسة أنْ ترجع إليها ؛ ليُرى جهة الدراسة ومقدارها ومساراتها وأثرها في البحث الدّلالي. وهل يُنتفع بهذه الدراسة في تطوير علم الدّلالة ؟

يظهر بعد استقراء مباحث (الإحالة المرجعية) عندهم في أغلب المباحث الدّلالية أنهم طرحوا قضية المرجع على نحو إشكالات يضعها الباحث تحت العنوان الآتي:-

إشكاليات المعنى والمرجع في علم الدّلالة.

١- في النظرية الإشارية طُرح المثلث الذي فيه ثلاثة مكونات : الرمز والفكرة والشيء الخارجي. وفيها رأيان : الأول (المعنى هو الشيء المشار إليه) والثاني (المعنى هو علاقة بين الألفاظ والمشار إليه)[٩] .والرأي الأول غير مقبول ؛ لأنّ الشيء الخارجي لا ينتقل إلى الذهن بنفسه. وإنّما يتحصّل الذهن على مفهوم من ذلك الشيء الخارجي. فمعنى الشمس صورة ذهنية منتزعة من الشمس الخارجية. ولا تأتي الشمس إلى الوجود الذهني. كذلك معنى التفاحة لا يُؤكل ؛ لأنّه صورة ذهنية ، وهي تُؤكل ؛ لذلك معنى الشيء غير ذلك الشيء[١٠].

وفي حالة واحدة يمكن أنْ يكون المعنى هو الشيء الخارجي حين يُنظر إلى المعنى من جهة من جهتين : الأولى في كونه مفهوماً منتزَعاً من وجود خارجي ، والثانية في كون ذلك المعنى نفسه موجوداً خارجياً في عالم الذهن ، نذكر مثالاً يكشف القصد وهو مفهوم : (علم) منتزع من حالة في العقل تطرد الجهل ، فمعنى العلم غير الحالة العلمية (الشيء) من جهة أنّه مفهوم يدل على وجود علمي في النفس. وهو نفسها من حيثية اتّحاد المفهوم والحالة فهما شيء واحد حاضر عند النفس.

٢- تعريف المرجع ((الشيء الخارجي الذي يحيلنا عليه الدليل اللساني ، وهو عالم غير لغوي ، وهو لا يحدّد فقط بالأشياء المادية المحسوسة ، فكثير من المراجع لا توجد إلا في إطار الخطاب اللغوي. فمثلاً "حبّ" أو "صداقة" تسجل في الخطاب اللساني ، ولكن لا نجد قيمتها الدلالية الحقيقية إلا داخل المجتمع))[١١]. ووظيفة الدلالة استحضار المرجع[١٢]. وهذا التعريف مفيد في تحديد معنى المرجع واتساع دلالته ليشمل المادي والمعنوي. ولكنه لم يستوفِ مصاديق المرجع غير المادي . فذكر الموجودات النفسية والحالات الشعورية كالحبّ والصداقة. ولم يذكر مراجع خارج النفس ، وهي غير محسوسة كالملائكة وموجودات عالم الغيب والخالق ؛ لتكون الصورة عن المرجع جامعة على نحو كليّ بذكر أمثلة من المرجع في جميع مراتب الوجود. فضلاً عن أنّه لم يستطع تحليل قيمة تلك الحالات. ونفى وجودها إلا في الوجود اللفظي أو الكتبي(الخطاب اللغوي). وهي موجودات حاضرة في النفس تُدرك مباشرة مثل حالة الجوع أو الخوف أو الفرح ونحوها من المشاعر الموجودة لدى النفس التي تظهرها في الخطاب بعد أنْ كانت موجودة فيها. فهل يستطيع هذا المدعي أنْ يُنكر حبّه لأبويه وزوجته وأطفاله ووطنه ؟ أو ينفي صداقته لمن يخلص له ؟ أما القول بوجودها في داخل المجتمع ، فهو وجود مفهومي متداول عند الأفراد. وليس هناك وجود مستقل(شيء خارجي)لمفهوم المجتمع بل هو مفهوم منتزَع من ملاحظة وجود أفراده. وتتواجد تلك الحالات النفسية في وجود الأفراد ؛ لأنّه لا يوجد لمفهوم (المجتمع) موجود واحد مستقل. وإنّما هو معنى اعتبره الذهن وجعله معنىً للأفراد الذين يشتركون في الأرض واللغة والثقافة والدولة

ونحو ذلك. فهذه المفاهيم والرموز التي تقترن بها من عمل الروح كما يرى (كورداموا) لما تتمتع به من حرية في العمل. فالأصوات تقترن دائماً بفكرة الشيء ؛ لذلك تدلّ العلامات على الأفكار والعواطف بمختلف مصادرها[١٣] ووعينا بالأشياء المحسوسة أولاً ثم نعي صفاتها ، ونربط ما بينها. فنقول عندي تفاحة وعندي ثوب ، وعندي كتاب ثم ننقل هذا اللفظ للتعبير عما نشعر به. فنقول : عندي شكّ وعندي فكرة بالمقارنة والقياس[١٤] وهذا ربما يُشير إلى نظرية المواضعة في اللغة التي تحصل في المحسوسات أولاً ثم بالقياس عليها نضع أسماء للمجردات[١٥].

وعُدّت دراسة المرجع الدّلالي أساساً عند بالمر للاعتقاد بأنّ موضوع علم الدّلالة مرتبط بالعلاقة بين اللغة والعالم الخارجي[١٦].

ومن هنا يتناول علم الدلالة العلاقة بين المدلول (المفهوم) والأشياء(المراجع : مفاهيم – عواطف – معطيات العالم الخارجي) والعلاقة بين المدلولات بعضها ببعض والعلاقة بين السمات الأساسية للمدلولات كما يرى موريس[١٧]. ويُلحظ في هذه الإشارة إلى المرجع سعة دائرته ليشمل المفاهيم في كونها أشياء خارجية في الفكر والحالات النفسية الموجود في النفس ، وما هو خارج النفس من أشياء خارجية تُدركها النفس. غير أنّ دراسة المرجع في علم الدلالة لم ترسُ على نتيجة قاطعة في إنهاء الجدل حول تحديد الموجودات في العالم كون المرجع الذي يحدّد في السياق أو في الصيغة المعجمية لا يستطيع أنْ يُحيل على الشيء المعين بدقة. وينبغي أنْ يمتاز من غيره من الأشياء[١٨].

وهنا تقع لدى الباحث إشكالية وجود مرجعين كما يتصوّر المحدثون ، وهما : المرجع المتصوَّر في الكلام لدى المتكلم والمتلقي والمرجع الخارجي الحقيقي لذلك الكلام. وهم يرون وجود فاصلة معرفية بينهما في عدم انطباق الأول على الثاني أي أنّ ما يُشير إليه اللفظ ، ويفهمه المتلقي مرجع آخر ليس هو المرجع نفسه الذي يُريد المتكلّم أنْ يشير إليه. أو يكون الإشكال على صورة أخرى وهي أنّ المفهوم أي((الصورة الذهنية للرمز لا تُحيط بحقيقة الأشياء التي كان من واجب الرموز توضيحها وكشفها من خلال صورتها الذهنية))[١٩].

وللإجابة على الإشكال الأول يُحتمل ما يأتي:-

١- أنْ يكون للكلمة مرجع واحد ، وهذا موجود في اللغة ، وإنْ أُدّعي ندرة الكلمات الأحادية الدّلالة[٢٠] وفي مثل هذه الحال يرجع المعنى إلى هذا المرجع ، وينطبق عليه. ولا يحتمل وجود مرجع ثانٍ كقولنا : قرأتُ كتاب سيبويه. وزرتُ مكة. وسافرتُ إلى بغداد. ورأيتُ الشمس. ونحو ذلك من الألفاظ التي لها معنى يدلّ على شيء واحد. وليس من حقّ المتلقي أنْ يتصوّر مرجعاً آخر من فهم

معاني هذه الجمل. ففي احتمال مراجع أُخر لهذه المعاني الصريحة خللٌ معرفيّ من تصورات المتلقي نفسه لجهله بالدّلالة الوضعية لهذه الألفاظ التي تحيل فيها المعاني على أشياء ثابتة. أو لإنكاره واقعية هذه الأشياء المعلومة بالبداهة. أو لعدم مراعاته قصد المتكلم في كلامه. فالمفهوم الحقيقي إذا صدق على موجود خارجي فأنّه يستحيل أنْ يصدق عليه مفهوم آخر ؛ لأنّ((المعقولات الأولية تعبّر عن انعكاس مباشر للحقائق الخارجية في الذّهن ، وليست لأية صورة أخرى دخل في تكوين هذه الصور))[٢١] وللاستدلال على وحدة المرجع يُقال للمدّعي : قولك : إنّ كلامي له أكثر من مرجع. يُقال لك : إنّ هذا الكلام ليس لك . ولستَ أنت المتكلم ، فيجوز لنا أنْ نتصوّر بناءً على قولك:(إنّ الخطاب له مرجع آخر) شخصاً آخر هو المتكلم. وليس له مرجع واحد وهو أنت المتكلم. فلو عمّمنا هذا القول على الخطاب بصورة عامة فلا نصل إلى اتفاق في تحديد مراجع الخطاب. وهذا هو السفسطة نفسها بصورة جديدة.

وهي وليد ((التفكير الحديث – الذي– أصبح يشكّ شكاً متزايداً في الأشياء المجردة تجريداً عالياً. ذلك بأنّه لا توجد – في أغلب الأحايين– أشياء واقعية من أي نوع تكمن خلف العلامات والرموز))[٢٢]. في حين أنّ اللغة تتحدّى التشكيك والسفسطة ؛ لأنّ المفهوم لا يتولّد إلا من واقع . بل لا مكان له إلا في الوجود الذهني. وهذا الوجود الذهني نفسه هو واقع حقيقي لا يُنكر ، ((فاللغة تفرض بطبيعتها الإيمان بالواقع))[٢٣]. ويُمكن للمتلقي أنْ يفهم رؤية جديدة عن مرجع اللغة أو يتصوّر بجانبه أشياء أُخر ولكنه لا يتصوّر مرجعاً آخر للمفهوم الواحد. ففي جملة : قرأتُ قصةً. لا يمكن أنْ يتصوّر المتلقي من مفهوم القصة مفهوماً مغايراً يدلّ على شيء آخر كالشجرة أو الأسد أو الرجل أو أيّ مرجع خارجي غير القصة المشخصة في الجملة. وقد يُفهم مع معنى القصة معانٍ مرافقةٌ تتصل به تتمحور حوله مثل أنْ يتخيل صورة القاصّ وبلدَه ومشاعرَه وأصدقاءَه من غير أنْ يتحوّل إلى معنى آخر يحيل على مرجع ثانٍ.

٢- أنْ يكون المرجع متعدّداً ، وفي مثل هذه الحالة يجب على المتكلّم أنْ يحدّد المعاني بصورة دقيقة ؛ ليكون قادراً على الإحالة على مرجع واحد. فطريق معرفة المرجع هو المعنى نفسه[٢٤]. فضلاً عن خبرة المتلقي ومعارفه التي لها دور كبير في معرفة ما يدور حوله الخطاب ؛ لأنّ((فهم الوقائع اللغوية بدقة ، لا بدّ أنْ يتمّ بربط تلك الوقائع بالخبرة العامة التي يتحدّث بها المتكلّم الكفء. أي أن توضيح بعض الجمل يستلزم ربط المعلومة اللغوية بمعلومة غير لغوية))[٢٥]. ولا يكون للمعنى أكثر من مرجع إلا إذا كان المفهوم كلياً ؛ لأنّنا((لو أخذنا بنظر الاعتبار عدّة صور خيالية لعدة أشياء محسوسة تشترك في جهات من الاشتراك ، فذهننا قادر على اقتناص وجه الاشتراك

بين جميع هذه الأفراد ، وصياغة مفهوم كلي يشمل جميع هذه الأفراد. وهذا المفهوم الكلي الذي يصدق على الأفراد الكثيرة وحتى غير المتناهية ... والذي يحصل في مرحلة الإدراك العقلي لا الإدراك الحسيّ أو الخيالي))[٢٦]. لنفترض عندنا مفهوم شجرة ، فهو معنى كلي ينطبق على كلّ شجرة في الخارج ؛ لأنّه يمثل صورةً ذهنيةً تصدق على أيّ شجرة ، وعندما يتكلم أحدنا بهذا المفهوم في خطاب عليه أنْ يُبيّنَ حدود معنى اللفظ. هل يُريد المعنى الكلي؟ فيكون له أكثر من مرجع خارجي. فهو ينطبق على كلّ شجرة خارجية. أو يُريد مفهوماً جزيئياً يقصد به شجرة واحدة في الخارج على النحو الآتي :-

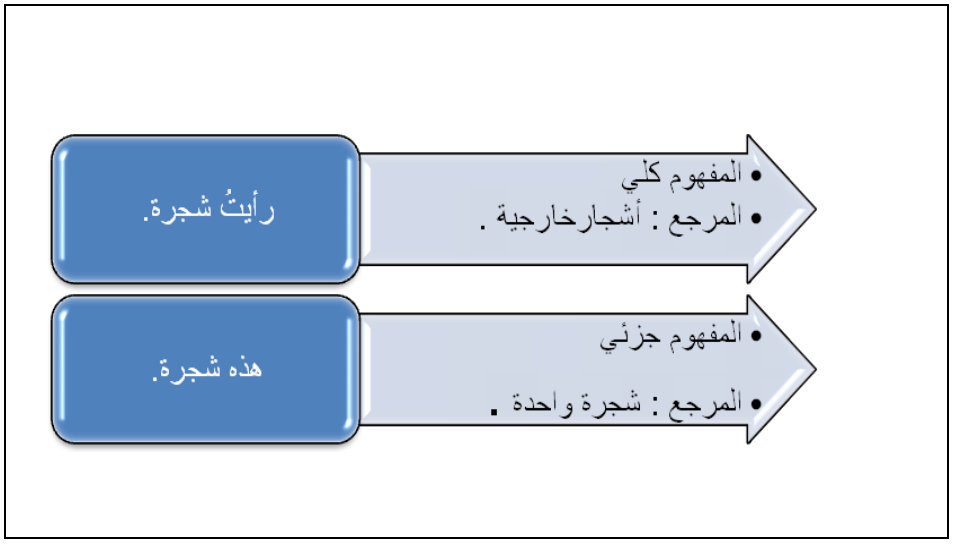

المخطط (١)

ففي كلتا الجملتين نجد السياق اللغوي والخارجي يكشفان دلالة (شجرة). ففي الأولى تحمل الكلمة معنى واسعاً كونها نكرةً وإنْ كان السياق اللغوي يُضيّق دائرة المعنى ليصدق على شجرة قد رآها المتكلم . ولا يصدق على الأشجار التي لم يرها. وفي الجملة الثانية نجد اسم الإشارة يُبيّن قصد المتكلم في شجرة واحدة حاضرة يراها أمامه.

أما الإجابة عن الإشكال الثاني فيقال :

١- إنّ وظيفة اللفظ أنْ ينقل لنا صورة عن الشيء الخارجي ، وهذه الصورة ينبغي أنْ تكون واضحة وكاشفة صفات ذلك الشيء وهو المطلوب في عملية التواصل ، ولا يصحّ أنْ يُطلب من المعنى أكثر من هذا العطاء المعرفيّ . لأنّه قد أنجز المهمة الملقاة عليه. وهي بيان خصائص الأشياء والفصل بينها. وليس من قابلية المعنى الإحاطة بحقيقة الأشياء ، لأنّ تلك الحقائق تُدرك بقوى الإدراك كلّ بحسب طبيعته . فمعرفة المحسوس تكون بواسطة الحواسّ والأشياء المعنوية تُدرك بالعقل والروح. ثم يخلق الإنسان المعاني التي هي صور ذهنية لتلك الأشياء. وهذه المفاهيم مثل

مرآة تنقل لنا صورة عن الشيء ، ولا تقدر أنْ تنقل حقيقة الشيء لنا مباشرة. فتوجد بين النفس وبين الشيء الخارجي واسطة هي المعنى أو المفهوم.

٢- إنّ هذه المعاني التي تأتي بها لنا اللغة. وتنقلها هي مدار التفاهم ، ولها قيمة كبيرة في التعامل بين الأفراد والمجتمعات. ولا يمكننا أنْ نتخلّى عنها أو أنْ نتركها أو أنْ نستبدلها إذ لم يجد الإنسان وسيلة أخرى أسهل وأكثر كفاءة في المعرفة والوعي العام من اللغة وإنْ أُخذت عليها بعض المآخذ. واتسمت ببعض النواقص في تصوير الحقيقة وبيان صفات الأشياء ، فكيف يُفرّط عاقل بهذه الوسيلة السهلة في بناء حياته ، ويُنشئ من خلالها علاقاته بالآخرين ، ويطوّرها نحو الأحسن؟.

٣- الإحاطة بحقائق الأشياء من مسؤوليات الإنسان وطاقاته العقلية والنفسية التي عن طريقها يواجه الأشياء. ويحاول معرفتها بكلّ ما أُوتي من قدرة . ويمتنع أنْ تنتقل تلك الحقائق إلى الألفاظ أو تكون منصهرة في المعنى أو موجودة في الذهن ؛ لاستحالة أنْ يتحوّل الشيء الخارجي إلى شيء آخر ذهني ، وهو أمر واضح جدّاً كما اتضح في مثال الشمس فلا تنتقل حقيقتها إلى الذهن. وكذلك التفاحة التي لها معنى لا يمكن أنْ يُؤكل ؛ لأنّه صورة ذهنية للتفاحة. وهذه القاعدة العقلية تنطبق على جميع الأشياء الخارجية إذ يمتنع أنْ تنتقل إلى الذهن.

٤- طُرحت نظرية الوظائف التي تتمتع بها الكلمات ، وليس لها معنى خارج الخطاب. فمجموع العلاقات بين الكلمة مع الكلمات الأُخر هو الذي يحدّد المعنى لكل كلمة. ولا تحددها الصورة التي تحملها الكلمات. فكلمات الدم واليوسفي والقمر من قيم كلمة (أحمر) تُعدّ جميعها حمراء إذا لم توجد كلمات برتقالي وزهري وأرجواني .

فلا معنى في الكلمات ، ولا يحدّد المعنى في مفهوم ذهني[٢٧]. وهذه النظرية نقطة اتفاق في اللسانيات المعاصرة[٢٨]. ويمكن أن يتوجّه ما يأتي على هذه النظرية :-

١- هي تلغي نظرية الوضع اللغوي والدّلالة المعجمية ، فتلغي المرجع والمعرفة المفهومية المختزنة لدى الذهن أيضاً. ونحن بالبداهة نُدرك معاني كثير من الكلمات المفردة من غير دخولها في تراكيب. بمعنى أنّ الكلمة لها علاقة مباشرة بالمعنى نتيجة الوضع والاتفاق قبل أنْ تتكوّن لها علاقات مع كلمات أُخر في الاستعمال.ونحن نسمع كلمات خارج إطار الجمل فندرك منها مفاهيم وتخطر في أذهاننا معان مستقلة لتلك الكلمات.

٢- الأمر الآخر هو أن الارتباط بين الكلمات يتأسس ، ويتشكل تركيبها على أساس ترتيب معاني الكلمات في الذهن أو ((الطريقة التي تترتب وفقها معاني الكلمات لتكون معنى جملة ما))[٢٩]. ولولا تلك المعاني المفردة لكل كلمة لما استطاع الذهن أنْ يُولّد معاني مركبة وخطاباً مترابطاً. ولجاز لنا

أنْ نتكلّم كيف ما شئنا بربط أيّ كلمة مع أخرى مادام لا يوجد معنى يرجح اختيارنا كلماتٍ دون غيرها في أثناء تكوين الخطاب المتداول. وهو أمر لا نمتلك الحرية على القيام به في خطاباتنا ؛ لأنّ المعنى يفرض قوانينه وآثاره على المتكلم وعلى استعماله. وهذا الرأي لا ينكر أثر العلاقات بين الكلمات في الخطاب في توجيه المعنى وتحديده ؛ كونها تشكل السياق اللغوي بما فيه من قرائن معتبرة وفاعلة في بيان المعنى وترجيحه على سواه.

٣- خير دليل على خطأ هذه النظرية هو أنْ نأخذ لفظاً ليس له معنى (مهمل) ونستعمله في جملة. فإذا دلّ على معنى تولّد من علاقته بالألفاظ الأُخر نؤمن بصدق النظرية المطروحة. وإذا لم نحصل على معنى لهذا اللفظ كذبت النظرية ، واستبعدناها من علم الدّلالة. وليكن اللفظ المهمل (ديز) مقلوب لفظ (زيد) في جملة : يضحك ديز . أو هذا ديز. أو رأيتُ ديزاً. أو ...إلخ. نجد هذه الجمل لم تعطِ معنى لهذه الكلمة. والأمر الآخر أنّ هذه الجمل أو غيرها ممّا نحاول أنْ نستعمله ليس لها معنى مركب. فإذا كانتْ فاقدة للمعنى كيف تُعطي المعنى المفقود لغيرها؟

والأمر الثالث أنّ معنى الجمل يتوقف على معاني الكلمات المفردة. فإذا فقدتْ إحدى كلمات الجملة المعنى ظهرتْ فجوة دلالية وفراغ معنوي في معنى الجملة. والأمر الرابع أنّ هذا الإشكال في عدم صحة معنى الجملة بسبب خلو كلمة واحدة من المعنى فكيف يكون حال المعنى حين تفقد كلمات الجملة جميعها معانيها المعجمية قبل التركيب؟ النتيجة التي نتوصل إليها من خلال هذا التحليل الدّلالي خطأ تلك النظرية. ولزاماً علينا استبعادها من علم الدّلالة بعد أنْ اتضح بصورة جلية التصور الخاطئ الذي قدّمته في فهم المعنى. والنتيجة الثانية أنّنا نعتمد على النظرية المقابلة للنظرية الخاطئة. ونؤمن بلا شكّ أنّ الكلمات لها معانٍ مستقلة قبل التركيب عدا(الحروف) والعقل يتصوّر المعنى المفرد بصورة أسهل من تصوّر المعاني المركبة ، لذلك يبقى المعنى المفرد أساساً في البحث الدّلالي ، و((دراسة معاني الوحدات منفردة لها حقّ الصدارة في دراسة العلاقات بين معاني الكلمات في السياق ؛ لأنّ الكلمة هي التي تؤدي إلى بناء الجملة))[٣٠]. والأمر الرابع هو أنّ فهم المعنى من جهة كونه شيئاً وتفسيره يتأسس من روية وتصوّر سابق[٣١]. وليس المعنى متولّداً من جهة التركيب فقط. ويُمكن أنْ ينطبق مفاد هذه النظرية على الحروف ؛ لأنّها موضوعة للمعنى الرابط الذي يتوّلد من العلاقة بين الألفاظ في تكوين النسب والروابط الذهنية التي تحكي عن النسب الخارجية. فالحروف لا معنى لها إلا عند استعمالها في تركيب.

٥- غموض المرجع في بعض الألفاظ مثل الضمائر وأسماء الأعلام ، فيكون الغموض في تحديد الأشخاص. والمعنى واضح في هذه الألفاظ[٣٢].والإجابة على نحو الإجمال والإيجاز هو أنّ المتكلم

يقصد بهذه الألفاظ أشخاصاً معروفين. وعليه بيان مقاصده بوضوح. فاسم العلم مثل (يوسف) عند المتكلم له معنى أو صورة ذهنية تُحيل على ذات واحدة في الخارج. وهي ذات مشخصة (ولد في زمان معين وله مكان معين وطول خاص وغير ذلك) مما يجعل معنى اسم يوسف يختلف عن معنى يوسف إذا استعمل للدلالة على ذات أخرى. فلا يدلّ الأول في الوقت ذاته عند هذا الاستعمال على ذات ثانية سميّتْ باسم يوسف. وهكذا كلّ أسماء الأعلام والضمائر وأسماء الإشارة كل واحد منها لا يدّل عند الخطاب إلا على موجود واحد متشخّص يحمل هذا الاسم أو الضمير. وفهم هذه الأسماء في الخطاب يعتمد على هذه القصدية لدى المتكلّم ، ولا يحيد عنها إلى فهم جديد يتصل بأشخاص آخرين لم يقصدهم المتكلم. فليس من الفهم المناسب أنّ يقول السامع جملةَ : عمرو بن بحر الجاحظ له البيان والتبيين. إنّ الجاحظ هو الرجل الذي يمتلك القدرة على البيان والتبيين. وليس الجاحظ الأديب المعروف. وليس من الصحيح أنْ يُفهم القول : هذه مكتبتي. أنّ اسم الإشارة(هذه)يدلّ على مكتبة أخرى لم أقصدها بالإشارة. أو مكتبة لشخص آخر غيري أنا المتكلم. فإنّ هذا الفهم يتعارض مع الإشارة السياقية اللغوية المنطبقة على الإشارة السياقية الخارجية إلى مكتبة موجودة عند المتكلّم. وهذه المفاهيم كل واحد منها يتفق مع الشيء المنتزع منه هذا المفهوم ، وينطبق عليه.

٦- تطوّر المرجع يتمثل بالتغيّرات الحاصلة على الأشياء الخارجية ولا سيما التطوّرات الحاصلة في التقنية الحديثة في مجال الأسلحة و الأثاث والآلات وغيرها. فنرى الأشياء متغيرة ، ويبقى اللفظ المعبّر عن تلك الأشياء هو نفسه الدال على الأسلحة السابقة أو الأثاث القديم وغيرها من الأشياء المتطورة نحو الأحسن ، أيْ ((تغير الشيء ، وظل محتفظاً باسمه))[٣٣].

وهنا تطرح إشكاليتان في العلاقة بين (اللفظ و المعنى) وبين المرجع :

١- أنّ اللفظ باقٍ والشيء متغيّر. في حين أنّ التغير التقني والتشريعي يؤدي إلى تغير في المعنى[٣٤]. والتطورات التي تؤدي إلى تغير المعنى تتمثل في أنواع ثلاثة : تغير طبيعة المرجع. وتغير المعرفة عند الإنسان عن المرجع. وتغير الموقف الإنساني إزاء المرجع[٣٥].

٢- هل اللفظ الواحد يستطيع أنْ يدلّنا على الأشياء الجديدة أو المتغيرة. وهو يحمل معنى واحداً يدلّ على الشيء السابق قبل أنْ يتغيّر إلى شيء جديد متطوّر؟[٣٦].

يمكن أنْ يُقال : لا مشكلة هنا ، فالمتكلّم يستطيع أنْ يستعمل هذا اللفظ لهذا المرجع المتطوّر بعد اتفاق جماعي على هذا الاستعمال. وهذا الاتفاق يُعطي اللفظ قيمة تداولية لكشف ذلك المرجع المتطوّر، فيمكن أنْ نستعمل اسم (الساعة) لأي ساعة صُنعتْ أو تُصنع في المستقبل ما دامت تقوم

ببيان التوقيت. فالشيء في حقيقته باقٍ ووظيفته محفوظة ، والمتغيرات وقعت على خصائصه وصفاته وقدراته ونحو ذلك ممّا لا يمسّ ماهيته والغاية من إيجاده وابتكاره. ويُمكن أنْ نشير إلى تلك التغيرات الطارئة على المرجع بألفاظ مناسبة تميزه من غيره من الأشياء المشتركة بأنْ نقول : الساعة الرملية أو المائية أو اليدوية أو الساعة البيضاء أو الصغيرة أو الكبيرة وغير ذلك من الأوصاف من غير تغيير اسم الساعة. و يمكن أنْ نضع اسماً جديداً عندما نكتشف شيئاً جديداً ، واللغة فيها قدرة على تسمية الأشياء الجديدة.

٧- استبعاد المرجع من الدراسة اللغوية لعدم وجود علاقة مباشرة بين الكلمات والمرجع. والعلاقة الرابطة هي الموجودة بين المعنى والمرجع. وطبيعة الارتباط بين الشيء وصورته في الذهن موضوع يُدرس في الفلسفة أو علم النفس[٣٧].

وهذا الكلام صحيح إذ لا توجد علاقة مباشرة بين اللفظ والمرجع إلا بوساطة المعنى الذي يصف لنا سمات ذلك المرجع . ولكن وجود علاقة قوية ما بين المعنى والمرجع وما للمعنى من أثر في تبيين المرجع أمر أساس في المعرفة الإنسانية. كما أنّ الارتباط القوي بين اللفظ والمعنى يجعلنا نفهم المرجع مباشرة من سماع اللفظ للاتحاد بين اللفظ ومعناه واندماجهما معاً كأنّهما شيء واحد. وهذا الفهم كافٍ في دراسة اللغة لفظاً ومعنىً وارتباطهما بالمرجع من غير تركيز على الأشياء مستقلةً. أو خروج عن ميدان البحث الدّلالي إلى موضوعات العلوم الأُخر؛ لأنّنا نفهم المعنى بدقة عندما نعلم مرجعه بصورة واضحة ؛ لأنّ((المدلول ، أو المضمون العقلي ... يستخلص من الشيء الخارجي ويرتبط به))[٣٨].وهذه الفكرة تؤكد للجميع أنّ جميع((المدلولات اللسانية تنشأ من الواقع ، ولكنها تهيكله وتؤوله))[٣٩].فكيف نتغافل عن المرجع وهو مصدر انتزاع المفاهيم أو نُبعده من الدرس الدّلالي وهو الأساس الذي تشكلتْ منه المفاهيم بصورة مباشرة أو غير مباشرة ؟!. فهناك تبادل في الفهم ((ففي كلّ فهم عن العالم يكون الوجود هو أيضاً قد فهم ويُعكس))[٤٠].

٨- تواجه نظرية تعليل الدّلالة بالنظر إلى المرجع صعوبات تتمثل في الجهل بمرجعيات حروف الجر مثل : في ومن وإلى وغيرها. واسم الاستفهام (ماذا) وكذلك الأسماء العامة التي تشير إلى مجموعة من الأمور. وهناك سياقات غامضة نحو اعتقد وأراد وتمنى وأسماء الأعلام لا تشير إلى شيء في الواقع والظروف والنعوت[٤١]. وأسوء ممّا تقدّم وجود ألفاظ كثيرة يستحيل أنْ ترتبط بمفهوم مثل حروف العطف وأدوات الربط مثل لأن وإذن ، فهي خالية من المعنى على الإطلاق[٤٢].

للإجابة عن هذا الإشكال ينبغي أنْ نميّز بين وجودين :-

الأول الوجود المستقل : وهو وجود مستقل قائم بنفسه ، ومنه تُنتزع المفاهيم . وهو يعني أنّ اللفظ له معنى مستقل في وجوده منفصل عن غيره ، فكلّ الأسماء والأفعال لها معانٍ منفردة في الذهن. وهذه المعاني المفردة للأسماء والأفعال تحيل على ذوات أو أحداث وحركات خارجية تمثل مصاديق لتلك المعاني. فاسم (محمد) له مفهوم منفصل يدلّ على شخص مستقل. وينبغي أنْ يُصوّر المتكلم المقصود من اسم العلم بدقة ، ولا يختلط بدلالته على أشخاص آخرين يسمون باسم واحد ويكون((المعنى الاسمي هو كل معنى يمكن تصوره وإدراكه مستقلاً دون انتظار ربطه بكلمة أخرى))[٤٣]. و(دخل) فعل له مفهوم مستقل مركب من حدث وزمان يدل على حركة خارجية محسوسة مقصودة يقوم بها شخص. فالفعل في أصله تعبير عن حركة الأشياء المدركة في الوعي الإنساني[٤٤].

الثاني الوجود الرابط : وهو وجود غير مستقل في الخارج ووجوده قائم في غيره ، ولا تنتزع منه المفاهيم. ففي الخارجي يوجد (محمد) بوجود مستقل و(يقرأ) يوجد بوجود مستقل. ويوجد وجود رابط بينهما قائم بهما غير مستقل[٤٥]. وإذا اتضح هذا القسم من الوجود نقول : إنّ الحروف جميعها لها وجود رابط يتصور في الذهن بين طرفين ، وليس لها وجود مستقل. ولذلك لا نستطيع أنْ نأخذ منها مفهوماً مستقلاً ؛ لأنّ حدّ الحرف ((كلمة تدل على معنى في غيرها فقط))[٤٦].فليس صحيحاً أنْ يرد إشكال عدم دلالة الحروف على معانٍ مستقلة ؛ لأنّ معناها غير مستقل. وليس لها القدرة على نقل المعنى المستقل. ويبقى معناها موجوداً بوجود طرفي النسبة في الجملة ، فهي تربط معاني الأفعال بالأسماء ، والمعنى الحرفي معنى رابط لا يمكن تصوره أو وجوده في الذّهن إلا في تركيب[٤٧]. فنقول : محمد في البيت. فحرف الجر(في)لا معنى له وحده. وله معنى رابط يظهر في الجملة بربط معنى وجود محمد والبيت. والربط هو نسبة بين طرفين تدلّ عليها معاني الحروف [٤٨]. وحقيقة النسبة((هي إضافة شيء إلى شيء آخر وربطه به))[٤٩]. فالمتكلم يحتاج إلى الحروف لإيجاد الربط بين المفاهيم المستقلة وخلق الجملة المفيدة. وهذه النسبة الذهنية تحكي عن نسبة خارجية وتنطبق عليها.فهي المرجع لمعنى الحرف الربطي.

بعد حلّ هذه الإشكالات بصورة إجمالية والإجابة عنها يتوجّه البحث إلى موضوع علم الدّلالة وهو المعنى والمرجع ويبدأ بالمرجع كونه الأساس في تكوين المعنى. ويرى أنّ الوجود ومراتبه مقدمة لمعرفة المرجع الذي ينتمي إلى مرتبة من مراتب الوجود. فيأتي هنا بيان الوجود ومراتبه كي لا ننسى أو يفوتنا مرجع ما. فالوجود وسعته وسعة مراتبه تبين أنّ في كل مرتبة موجود أو

أكثر من واحد يكون هو المرجع الذي انتزع منه المعنى والمفهوم. فينبغي أنْ يتضح معنى الوجود وبيان مراتبه كما يأتي :-

الوجود ومراتبه

مفهوم الوجود

هو من المفاهيم البديهية التي تُعقل بذاتها من غير حاجة إلى مفهوم آخر يبيّنه ؛ لأنه ظاهر بنفسه مظهر لغيره[٥٠] فكل إنسان عاقل يعلم بوجوده ، ويشعر بتحقّق ذاته. يتفاعل معها ، ويسعى إلى كمالها وحفظها من أنْ ينالها النقص والأذى. ولا يحتاج إلى دليل يكشف وجودها. والوجود غير قابل للتعريف ، ولا حاجة لأنْ يُعرّف وهو مفهوم بنفسه[٥١].

مراتب الوجود

إنّ الوجود حقيقة واحدة ذات مراتب متمايزة في الشدة والضعف والتقدّم والتأخر[٥٢]. وتظهر مراتبه في ما يأتي :-

١- الوجود العيني مثل وجود الأرض الخارجية ، ووجود السماء الخارجية ، ووجود الإنسان الخارجي.

٢- الوجود الذهني وهو ظرف وجود المفاهيم المنتزعة من المرجع المتحقق في الوجود العيني الخارجي.

٣- الوجود اللفظي وهو كلّ الألفاظ الموضوعة للمفاهيم المتداولة.

٤- الوجود النطقي (الصوتي)المسموع عند انتقال الصوت من المتكلم إلى السامع .

٥- الوجود الكتبي وهو الحروف والكلمات المكتوبة في كتاب أو جهاز أو أي محل صالح لحفظ ما كتب فيه[٥٣].

ويبدأ الوجود من أعلى مراتبه بالوجود العيني ومراتبه . ثم يتنزّل نحو الموجودات (المفاهيم) في الذهن(الوجود الذهني) ويظهر ما في الذهن بألفاظ توضع للمعاني ، ثم تُنطق على اللسان. ويستقرُّ أخيراً في أدنى درجاته وأضعفها على شكل كتابة يتلقّاها الإنسان بالقراءة. نأخذ مثالاً نطبقه على عالم الوجود وعلاقته بالمعنى ؛ لتتضح الصورة بمثال مقرّب. فنفترض أمامنا قصيدة لشاعر مكتوبة على ورقة في حضورها المادي المحسوس. فلها هنا وجود ضعيف لا ينزل إلى وجود أضعف منه ، وقبل الكتابة مرّتْ هذه القصيدة بمراتب من الوجود حين تلفظ بها الشاعر ، وحين كانت على صور متعددة في وجوده الخيالي والذهني. بعد أن شكلها من واقع آخر ارتبط به الشاعر بحواسه ومشاعره وعقله.

أقسام المرجع

يمكن أنْ ينقسم المرجع الذي يشمل كلّ ما نتكلم عنه وما نقصده والمتكلم نفسه أيضاً[٥٤] على الأقسام الآتية :-

١- المرجع المطلق الذي هو فوق التجرّد عن (المادة والصورة) ، وهو مرجع واحد لا شريك له. ولا شبيه له في ذاته وصفاته وأفعاله. وهو الله تعالى عن الوصف والتحديد والتقييد. ونتمثل بشعر جميل لبيان المعنى وارتباطه بالمرجع المطلق إذ قال[٥٥] :-

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبَّها ولا بدَّ من شكوى حبيبٍ يروّعُ
ألا تتّــقين الله فيمـــــــن قَتَلْتــِه فأمسى إليكم خاشعاً يتضــرعُ

في هذا الشعر يوظف المحبوب مفهوم(الله)للتعبير عن موجود مطلق له جميع الكمالات وهو ذات تتعالى على المادة والماديات وفوق الموجودات المجردة. وهو مرجع واقعي عالم بكلّ شيء والشاعر يلتفتُ إلى حضوره واطلاعه بحبه و محبوبه ويذكّر المحبوب بهذا الحضور الإلهي والإحاطة العلمية بكلّ شيء ؛ ليؤثر عليه كي ينال غايته.

٢- المرجع المجرّد وهو الموجود الذي ليس له مادة. ويشمل موجودات عالم المثال كالجنّ والملائكة والنفس وموجودات العالم المجرد كالملائكة والأرواح. فكثير من المفاهيم الدينية منتزَعة من حقائق و موجودات غير محسوسة كنعيم الآخرة ، والخلود ووجه الله ، ويده ، ونوره وعرشه وكرسيه وغيرها. ومن ذلك ما استعمله حسان في شعره[٥٦] :-

وقال الله قد أرسلتُ عبداً يقول الحقَّ إنْ نفـــــع البـــــــــلاءُ
شهـــــدتُ به وقومي صدّقوه فقلتم مـــا نُجيبُ ، ومـــــا نشـــــــاءُ
وجبريلٌ أميـــــــنُ اللهِ فيـــــنـــا وروحُ القدسُ ليـــــس له كفـــــاءُ

فهذه المعاني (جبريل وأمين الله وروح القدس) كلُّها تحيل على مرجع واحد مجرّد وموجود حقيقي في عالم غير محسوس.

٣- المرجع المحسوس وهو كلّ شيء محسوس تُدرك خصائصه بالحواس كونها وسيلة تناسب الحصول على المعرفة الحسية عن هذا الوجود المادي ، ومن التعرف على الأشياء المحسوسة ينتزِع الذهن منها مفاهيم كثيرة ، فكلما علم شيئاً أخذ منه مفهوماً ، وهذه المفاهيم المنتزعة من المرجع تختلف باختلاف أدوات المعرفة وقوى إدراك ذلك الشيء الخارجي((ولا يخفى أنّ الارتباط بالحقائق الوجودية تارة يتمّ من خلال الحواس الظاهرية ، فيحصل لنا تصوّر عن الإنسان ، والنبات ، والأرض ، والسماء والحرارة ، والبرودة ، والماء ، والهواء ... وأخرى من خلال الحواس الباطنة ، فيحصل

لنا تصور عن حالاتنا النفسية ، كالألم ، واللذة ، والخوف ، والحزن والفرح ، وغيرها ، ومن الواضح أنّ هذا السنخ من التصوّرات ترتبط بأمور موجودة في داخل نفوسنا وذواتنا))[٥٧] ، فكلمة شمس تدلّ على مفهوم حسيّ مُدرَك من رؤية الشمس الخارجية بالعين الباصرة ، وكهذا مفاهيم القمر والنجوم والأرض والشجرة والنهر والبحر والجبل والبيت والسيارة والطائرة. وقد يكون المرجع أفعالاً محسوسة مثل : قرأ وكتب ومشى أو صفة محسوسة متحدة مع الذات مثل جميل وطويل وأحمر وأبيض وغيرها من المفاهيم المنتزعة من الرؤية الحسية المباشرة للأشياء المحسوسة. وعندنا مفاهيم حسية لمسية منتزعة من معرفة الأشياء المادية باللمس كمفهوم حارّ وبارد وخشن وليّن ورطب وصلب ودافئ وغيرها من المفاهيم المنتزعة من الأشياء المحسوسة من جهة إدراك خصائصها بواسطة حاسة اللمس. وهناك مفاهيم ذوقية منتزعة من تذوق الأشياء المادية مثل مفاهيم حلو ومرّ وحامض ومالح وعذب ولذيذ ونحو ذلك. ومفاهيم شمية مثل طيّب و كريه ونتن. ومفاهيم سمعية مثل شديد ورخو ومهموس و مجهور وعالٍ وواطئ وغيرها . ونذكر بعض المراجع المحسوسة في قول الشريف الرضي[٥٨]:-

عندي من الدّمع ما لو كان واردَه مطيُّ قومِـــــــك يومَ الجزعِ ما نزحا

فالدمع و المطيّ والجزع ألفاظ فيها دلالات على موجودات واقعية تُدرك بالحواس. ولولا فهمنا لها لما استطعنا أنْ نضع هذه المفاهيم المتداولة في خطاباتنا وثقافتنا.

٤- المرجع المتوهم وهو شيء أو عدة أشياء أو عالم يخلقه المتكلم ، واللغة فيها قدرة على إنشاء عالم متخيل كتوهم جزيرة ذات كنوز[٥٩]. وهذا المرجع المتخيل موجود في الوجود الذهني للمتكلم ، ولا وجود له في الخارج لأنّ((وجود العلامة غير مشروط بالوجود الملموس للمرجع المشار إليه. ولذلك يمكننا الحديث عن أشياء لم يعد لها وجود في عالم الموجودات))[٦٠]. ويتجلّى في الخطاب على شكل أصوات مسموعة كي ينقل ذلك العالم المتصور إلى أذهان المتلقين. ويسعى الأدب دائماً إلى خلق موجوداته وأشيائه وعوالمه من أجل التأثير على عواطف المتلقي وأحاسيسه بالصور الفنية ، فتنتزع من هذه الموجودات الوهمية في(عالم الخيال) مفاهيم تنطبق عليها ، فعندما نقول : الرجل أسد. فمفهوم أسد ينطبق على الرجل في خيال المتكلم ؛ لإثارة الأحاسيس الداخلية عند السامعين. فالرجل مرجع ينطبق عليه مفهوم أسد في عالم الخيال أي أنّ المتكلم يتصوّر الرجلَ أسداً . وليس في عالم الواقع رجل أسد في هيأته وصفاته. وهذا المعنى الوهمي المتخيل له مرجع واقعي انتزع منه ، فهناك أسد واقعي له مفهوم أسد ، ثم وسّع الذهن استعمال هذا المفهوم الحقيقي في استعمال مفترض إذ جعل له مصداقاً خيالياً بعد أنْ كان له مصداق واقعي محسوس[٦١]. وهذه طبيعة المراجع الخيالية التي يصورها

المبدع في وهمه. ويصفها بمفاهيم حقيقية منتزعة من أشياء واقعية. ومن الشواهد التي تتقابل فيها الحقيقة بالخيال قول أبي الطيّب[٦٢] :-

لمّا سمعتُ به سمعتُ بواحدٍ ورأيتُه ، فرأيتُ منه خميسا

الممدوح هنا واحد كونه شخصاً وذات واحدة انتزع منها مفهوم (واحد) للتعبير عن واقعيته ووجوده الخارجي ، وانتقل الشاعر إلى خياله ، فوصف الممدوح بأنه يرى منه جيشاً كبيراً (خميسا) في منطقة خيال أبي الطيّب ، ولا يكون من الممدوح خميس في الخارج. ومفهوم الخميس أخذ من مجموعة من الجنود والقادة الذين يتألف منهم الجيش. ولا علاقة لمفهوم الخميس بذات الممدوح الحقيقية ، وإنما وجد الشاعر علاقة متخيلة بين مفهوم الخميس والممدوح المتخيّل لتتفاعل مشاعر القارئ مع معطيات الخطاب الشعري.

وثمة حقائق نحسّ بها مباشرة إحساساً داخلياً ؛ لأنّها موجودة في النفس ولا وجود لها خارج النفس ، فإدراكها لا يحتاج إلى حاسّة ظاهرة بل النفس ترتبط بها مباشرة. فتجدها حاضرةً عندها ، كما قال أبو فرّاس[٦٣]:-

هواكِ هوايَ على كلّ حالِ وإنْ مسّني فيك بعضُ الملالِ
وإني لأرضى بما تَرْتَضيهِ رضاءَ العبيـــــدِ بحكْمِ الموالي

إنّ مفاهيم(هواي و الملال والرّضا)لها مراجع داخل نفس الشاعر وهي الحالات النفسية التي يحسّ بها ، وهي حالات خاصة بالشاعر . وقد يقوم العقل بجعل هذه المفاهيم عامةً تنطبق على حالات كثيرة ، فنقول : الحبّ والبغض والفرح والحزن والسعادة والشقاوة ، وغيرها من غير إضافة أو نسبة إلى نفس واحدة. فهي مفاهيم كلية تنطبق على كلّ حالة نفسية في أيّ نفسٍ موجودةٍ في الخارج.

٥- المرجع اللفظي وهو لفظ أو فعل خطابي أو نصّ يشير إليه المتكلّم في كلامه. وهذا المرجع يكثر وجوده في كتب علوم العربية كالنحو والصرف والنحو إذ يحيل العالم على ألفاظه المتقدمة في مباحث العلم الذي يدرسه في كتابه ، كما قال الجرجاني : ((أنك إذا قلتَ : ((زيد منطلق)) فقد وضعت كلامك لإثبات الانطلاق لزيد. ... كذلك فأنت إذا قلت : زيد أسد. ورأيت أسداً. فقد جعلت اسم المشبه به خبراً عن المشبه))[٦٤] .

في هذا النص نجد العلاقة واضحة بين اللفظ ومرجعه اللفظي ، فكلامك لفظ يحمل معنى مرجعه جملة (زيد منطلق)المنطوقة من قبل المتكلم. ولفظ اسم المشبه مرجعه (أسد) ولفظ المشبه مرجعه (زيد)وكلاهما مرجع لفظي مذكور في جملة(زيد أسد).

وهذا المرجع اللفظي يعود إلى مرجع خارجي يتمثل في زيد الخارجي وانطلاقه المتحقق في الخارج الذي دلّتْ عليه الجملة الأولى. وزيد وأسد الذهنيان هما المرجع الثاني للجملة الثانية. ويمكن أنْ نصف الإحالة في مثل هذه المراجع بالإحالة المركبة[٦٥] من إحالتين : الأولى يُحيل اللفظ بمعناه على لفظ موجود في الخطاب يكون المرجع المباشر. والثانية إحالة المرجع اللفظي عينه على مرجع خارجي يدلّ عليه.

المعنى وأقسامه

بعد أنْ انكشف المقصود بالمرجع ، واتضحتْ أقسامه يأتي الحديث عن المعنى وأقسامه ، ونبيّن بصورة موجزة ظاهرة تكوين المفهوم بربطه بمرجعه ، فنرى أنّ الأساس في تقسيم المعنى هو منشأ إيجاده وأصل تكوينه. للعلاقة السببية بينهما ، أي لا يتشكلّ المعنى من غير مرجع وأصل يتوجّه نحوه العقل لينتج المعنى. و لا بأس في أنْ نجاري التقسيم الموجود في كتب علم الدّلالة ونذكر تقسيمهم مع التركيز بدقة على علاقة (اللفظ والمعنى) بالمرجع. ونُحلّل جميع أقسام المعنى بإرجاعه إلى أصله (الشيء الخارجي).

أساس تقسيم المعنى عند الدّلاليين

أصل التقسيم لديهم هو مصدر فهم المعنى. وهو اللغة باختلاف مستوياتها[٦٦].وأقسامه هي :-
الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية (الاجتماعية). **وفيها استبعاد للمرجع** أي أنّ المعنى يُفهم من اللغة من جوانبها المتعددة . فالمعنى الصوتي متحصل من الجانب الصوتي. والمعنى الصرفي يُدرك من البناء الصرفي لكلمات اللغة. والمعنى النحوي يتحصّل من التركيب. والمعنى المعجمي يأتي من المعجم. وهذا يعني أنّ المعنى لا علاقة له بالمرجع كما يبدو. ولكنّ التحليل الدقيق لجملة : (جاء عالمٌ). يُوصلنا إلى عودة جميع المعاني إلى أصلها. وهو المرجع على النحو الآتي من الارتباط في المخطط أدناه :-

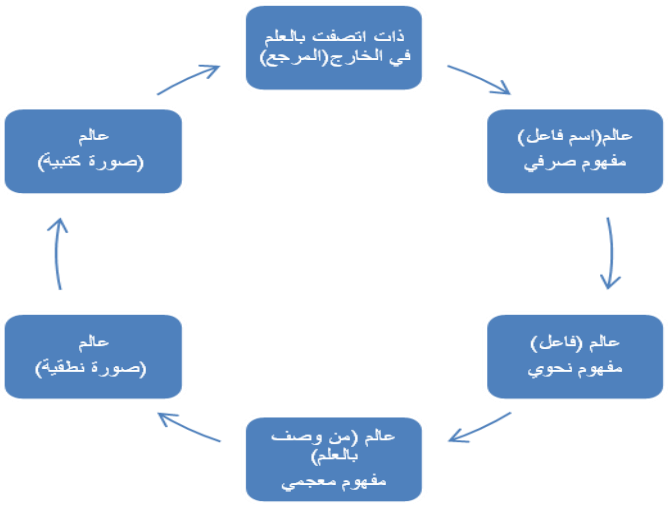

المخطط (٢)

أيْ أنّ لفظ عالم له معانٍ تُدرك من جهات نظر متعددة ، فعندما ننظر إلى البناء الصرفي نراه على بناء (فاعل) وهذا البناء الصرفي له صورة نطقية ووجود لفظي ومفهوم صرفي (اسم فاعل) يفهم من صيغة فاعل ، وعندما ننظر إلى هذا اللفظ نفسه في التركيب نفهم منه مفهوماً نحوياً هو فاعل بمقارنته مع ألفاظ التركيب الأُخر ، فهو فاعل بعلاقته بلفظ (جاء)الذي نفهم منه مفهوماً نحوياً آخر وهو فعل بالمقارنة مع فاعله. وحين ننظر إلى معنى (عالم) في المعجم نُدرك معنى ثالثاً. وهذا المعنى الأخير أنتزعه الذهن من الشخص الموجود في الخارج بعد أنْ رأى المتكلم ذلك العالم في الخارج. وهكذا عادتْ جميع المعاني إلى الشيء الخارجي في نهاية الأمر كونه الأساس الذي بُنيتْ عليه هذه المفاهيم ولولاه ما وجدتْ تلك المعاني. ويبدو أنّ رؤية الشيء الخارجي وعلاقته بالمعنى هو الذي جعل بعضهم ينقل صفة (الخارجي) من الشيء المحسوس إلى المعنى كونه ((يشير إلى الشيء الذي تمثله الكلمة في الواقع خارج اللسان... أنّ هذا المعنى يرتبط بالأشياء المحسوسة))[٦٧] وهذا الوصف من صفات الأشياء وليس من صفات المعنى ؛ لأنّ المعنى لا وجود له في الخارج ، وإنّما وجوده في الذهن. إلا إذا نظرنا إلى الذهن في كونه موجوداً خارجياً فيه موجودات حاضرة هي المفاهيم. وهذه الرؤية غير مقصودة في النصّ المتقدّم. ونحاول الآن أنْ نُحلّل العلاقة بين أقسام الدلالة والمرجع بالتفصيل كما يأتي:–

١- الدّلالة الصوتية تُؤخذ من طبيعة بعض الأصوات في العبارة. ولها مظاهر منها النبر والتنغيم. وهنا تظهر علاقة الصوت بالمعنى على الصور الآتية :-

أ- الصوت المفرد يساعد على إظهار المعنى وهو خالٍ من المعنى(٦٨). فهذا يعني أنّ الصوت بمفرده لا يحمل معنى مستقلاً وهو أمر واضح ، ومع ذلك يمكننا أنْ نستدلّ عليه بهذه الأدلة :-

الأول – لو قبلنا أنّ الصوت الواحد له معنى. فسيكون لكل كلمة مكونة من ثلاثة حروف ثلاثة معانٍ كلٌّ معنى يُفهم من حرف من حروفها الثلاثة ، وكلما زاد عدد حروف الكلمة زاد عدد معانيها الصوتية. وهو غير متصور عند المتكلم والسامع.

الثاني – تبيّن أنّ الحرف ليس له معنى مستقل كحروف الجر والعطف وغيرها ، وأغلبها مكوّن من أكثر من حرف واحد ،فكيف للحرف الواحد في الكلمة له دلالة.

وهو لا يستقل بصيغة منفصلة عن الكلمة ؟ في حين أنّ الأدوات لها وجود لفظي مستقل كونها تشكل كلمة منفصلة كبقية الكلمات إلا أنّها لا تحمل معنى في ذاتها.

و تبقى قضية أثر الصوت في بيان المعنى وهي تفرض صحتها في مجموعة من المظاهر الصوتية على اللغة ، ويمكننا أنْ نذكر منها ما يأتي :-

١-الصوت مظهر مميز بين الكلمات كلها في اللغة ، فلكل كلمة أصوات تشترك بها مع بعض الكلمات ، ولا توجد كلمة لها أصوات لا توجد في كلمات أُخر لقلة الأصوات اللغوية وكثرة الكلمات . وتزداد قيمة الصوت في الفصل بين الكلمات التي تشترك في أكثر من صوت . فنجد الصوت المختلف في هذه الكلمات يفرّق بينها صوتياً. وقد يوحي بفارق دلالي عند ترادف الكلمات وهذه الإيحاء الصوتي لا يعني أنّ هذا الصوت المختلف هو الذي جاء بالمعنى الدقيق والفارق الدلالي من طبيعته الصوتية من حيث القوة والضعف ؛ لأنّ هذا الصوت لم يكن إضافة جديدة على أصل الكلمة ، فهو موجود منذ وجدتْ هذه الكلمة واستعملت في الخطاب . فالمتكلم كان قاصداً باستعماله هذه الكلمة ذلك الفرق المعنوي بينه وبين كلمة أخرى ، فكلمة (سعد) تمتاز من كلمة (سعر) باختلاف صوتي الدال والراء على الرغم من اشتراكهما بصوتي السين والعين. علماً أنّ تغاير المعنيين لم يكن سببه هذا الاختلاف الصوتي. بل كان التغاير في المعنى موجوداً منذ الوضع اللغوي لهاتين الكلمتين.فكل كلمة منهما وضعت لمعنى مستقل. وكذا حال المعنى في الكلمات المترادفة وضعت لمعنى واحد مع انتباه الواضع إلى الفرق الدقيق بين الألفاظ المتقاربة الدلالة. وله حقّ اختيار أيّ لفظ من تلك الألفاظ المترادفة جزئياً لأحد المعنيين لمناسبة يراها تليق بالمعنى كتناسب صوتي أو السهولة أو الصعوبة أو أيّ مرجح يربط كل لفظ بمعناه الدقيق. ولا يُمكن أنْ يصل إلى رابطة ذاتية وجودية ؛ لأنّ وجود اللغة وجود اعتباري

لا قدرة فيه على الاتصاف بهذه الرابطة الحقيقية. ومن ذلك المناسبة الصوتية المعتبرة بين اللفظ والمعنى((فكلمة تنضخ ... تعبر عن فوران السائل في قوة وعنف و... تنضح التي تدل على تسرب السائل في تؤدة وبطء ، يتبيّن لنا أنّ صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها ، فقد أكسبها في رأي أولئك اللغويين تلك القوة وذلك العنف))[٦٩].

وليس الفضل لصوت الخاء في الكلمة الأولى في إضفاء القوة في المعنى ولا للحاء فضل في إضفاء معنى البطء في الكلمة الثانية . بل المعنى أُخذ من مصدر انتزاعه وهو الحدث الخارجي أولاً، ولم يُؤخذ من اللفظ أولاً ثم وضعت الكلمة للمعنى ثانياً من أجل التفاهم. ودليلنا أنّ اللفظ لا يستعمل لولا وجود الفعل الخارجي. أو يُمكن أن يُستعمل في نقل معنى آخر في حالة عدم وجود نضخ السائل عند الحاجة لاستعماله. ومشكلة اللغة أنها وجود له مراتب تبتعد كثيراً عن الأشياء التي وضعت للتعبير عنها تتمثل في وجود الألفاظ ثم وجود المعنى والمتلقي يبدأ برؤية الوجود اللفظي ثم يحاول أنْ يصل إلى وجوده الدلالي ثم يطبق المعنى على الوجود الخارجي متصوراً أنّ الوجود اللفظي هو الذي يشكل المعنى. ويعمل على إيجاده ، وهي عملية تلقٍ عكس عملية وضع اللغة. ويظل يؤمن أنّ الدلالة الصوتية ((تنتج من ضمّ الحروف بعضها بعضاً على نسق موسيقي خاص))[٧٠] في حين أنّ اللغة وضعت لمعانٍ. واستعملت وسيلة لنقل المعاني ، وليست هي التي تخلق المعنى. وربما وجد المتكلم مناسبة بين الكلمة بأصواتها وبين المعنى المتصور. أي أنّ المتكلم اختار هذه الكلمة لهذا المعنى المنتزع من مشاهدة شيء خارجي لوجود تشابه بين الأصوات وبين الشيء الخارجي في وجه شبهٍ حسيّ أو اعتباريّ . ولا توجد علاقة حقيقة بين الأصوات وبين المعنى أو الشيء الخارجي.

٣-أصوات الكلمة جميعها قد تناسب المعنى في المحاكاة الصوتية ، فالواضع يُدرك هذه المناسبة فهناك كلمات تحكي أصواتها أصوات الطبيعة وأحداثها. وتقترب من طبيعتها الصوتية كالخرير والصرير والهديل والصليل و الضجيج والزقزقة والمواء ونحو ذلك. فهذه الكلمات وُضعتْ للأصوات الصادرة من الموجودات الحية كالحيوانات والنباتات والجمادات كالصخور والمياه والرياح . فتكون الكلمة تحمل معنى خاصاً لحدث يراه المتكلم أمامه أو يسمعه وهو صورة ذهنية تصوّر لنا حدثاً أو فعلاً يكون هو المرجع الخارجي. وتصل هذه الصورة عن طريق الحواس ثم يقوم الذهن بتعميمه وجعله مفهوماً كلياً ينطبق على أحداث كثيرة متشابهة. فالخرير حدث يراه الإنسان أولاً عندما يشاهد حركة الماء ، فتنتقل صورته السمعية عن طريق الأذن إلى النفس وتُنقل الصورة نفسها إلى الذهن بعد أنْ يُصيّرها مفهوماً كلياً ينطبق على كلّ أصوات الماء في كلّ وقت. ويمكننا أنْ نوضّح العلاقة بين الكلمة ومعناها ومرجعه في هذا المخطط :-

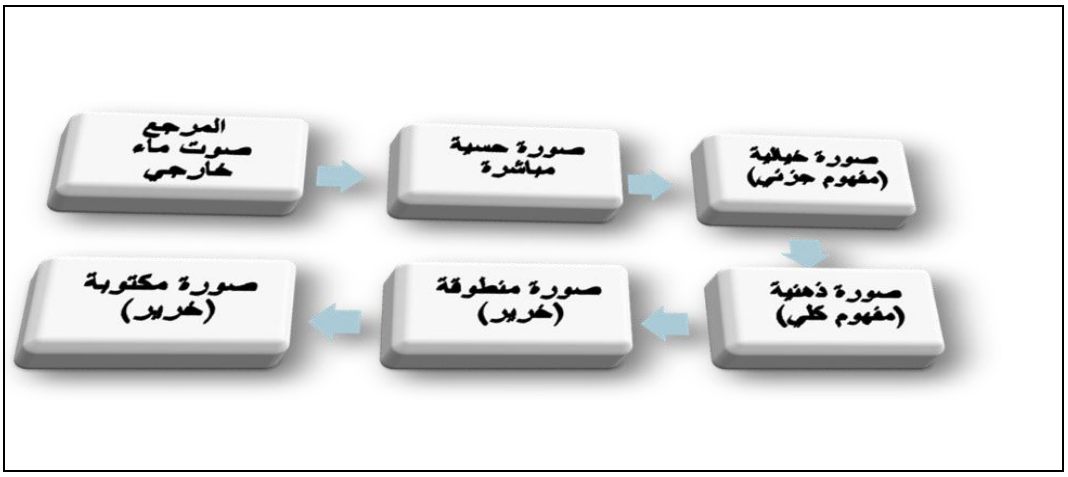

المخطط (٣)

٣- التنغيم يعني ((تغيير في الأداء بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة))[٧١].

يترتب على تغيير نغمة التركيب تغيير دلالته من أسلوب إلى آخر[٧٢].فهو يُعطي دلالات جديدة للكلام غير دلالته قبل التنغيم[٧٣]. وهنا تُطرح رؤيتان :-

الأولى : التنغيم يُميز معاني الجمل وهو أمر غير مقبول ؛ لأنّ((مثل هذه الوسائل الصوتية لا تُعطينا معلومات تتعلق بالمضمون المعرفي للجمل))[٧٤]. لبيان هذه الحقيقة نأخذ جملة : أنتَ صادقٌ. ونجرّب نطقها في حالات تنغيمية متعددة ، فما يطرأ على معنى مفرداتها من تغيير ؟ الجواب : أننا لا نرى فرقاً دلالياً في كل قراءة جديدة بتنغيم جديد. ولم يتغير المعنى بل يحتفظ الضمير أنتَ بدلالته على ذات المخاطَب. وكذلك كلمة صادق محتفظة بمعناها على صفة المخاطب أي اتصافه بالصدق لا اتصافه بصفة أخرى. وينتج أنّ التنغيم ليس له وظيفة معجمية في الجملة العربية[٧٥].

الثانية : النغمة تؤثر على تغيير المعنى النحوي العام للجملة وهو ما يعبّر عنه بالأُسلوب. وهو ليس دلالة الجملة المركبة من اتحاد معاني كلماتها المعجمية . وبلغة حديثة يقال : ((إنّها تشير إلى وظيفتها الانفعالية emotive أو الرغبوية conative – الانفعال أو العاطفة ... التنغيم الاستفهامي أو التعجبي ... وكلّ الوسائل الصوتية الأخرى للرغبة المعبر عنها أو الانفعال))[٧٦].نجد صحة هذه النظرية في استعمال الجملة المتقدمة : أنتَ صادقٌ . فقد يكون استفهاماً برفع النغمة ، أو نفياً بنغمة متوسطة أو استهزاءً بنغمة مناسبة أو خبراً مثبتاً بنغمة واطئة. وتتعدّد الأساليب بتعدد النغمات التي تطرأ على الجملة على النحو الآتي :-

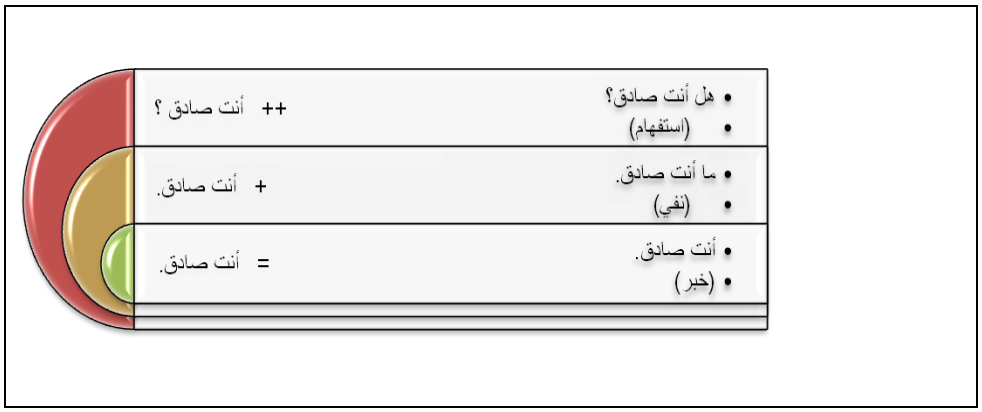

مخطط (٤)

فكلما تغيرت النغمة تغير معنى الأسلوب النحوي. وهذه القاعدة لا تعني أنّ الجانب الصوتي هو المغيّر للمعنى ؛ لأنّ التنغيم عمل أنتجه المتكلم لإيصال غايته البيانية ، فجعله مظهراً خارجياً مسموعاً للإيحاء بالمعنى والقصد المتقدم على النغمة نفسها. وليس هو صانع المعنى ، ولا مبدعه.

الثالثة : للنغمة وظيفة انفعالية (تعبيرية) وكلما اختلفت الحالات النفسية للمتكلم اختلفت النغمة إذ ((تتخذ هيئة تناسب كل حالة ... كأن تكون النغمة حادة في حالة الغضب ، وأنْ تكون ثقيلة في حالة الهدوء والاستقرار))[٧٧]. ويبدو أنّ المحتوى العاطفي والنفسي هو المؤثر في تشكيل النغمة وإعطائها صفة خاصة تناسبه ، لتعبّر عن وجوده في النفس عند الخطاب . وربما تكون طبيعة تنغيم الكلام مظهراً كاشفاً البعد النفسي للشخصية وسجاياها وأخلاقها. وهذه الدلالة المدركة من النغمة هي دلالة نفسية كالفرح والحزن والشجاعة والخوف والثقة والتردد والصدق والكذب وغيرها. وهذه المفاهيم منتزعة من حالات موجودة في النفس ومتحدة بها . وهذه الحالات النفسية حقائق خارجية موجودة بوجود النفس ، وهي المرجع الخارجي الذي كان الأساس في إيجاد هذه المفاهيم. ويمكن أنْ نتصورها في المخطط الآتي :–

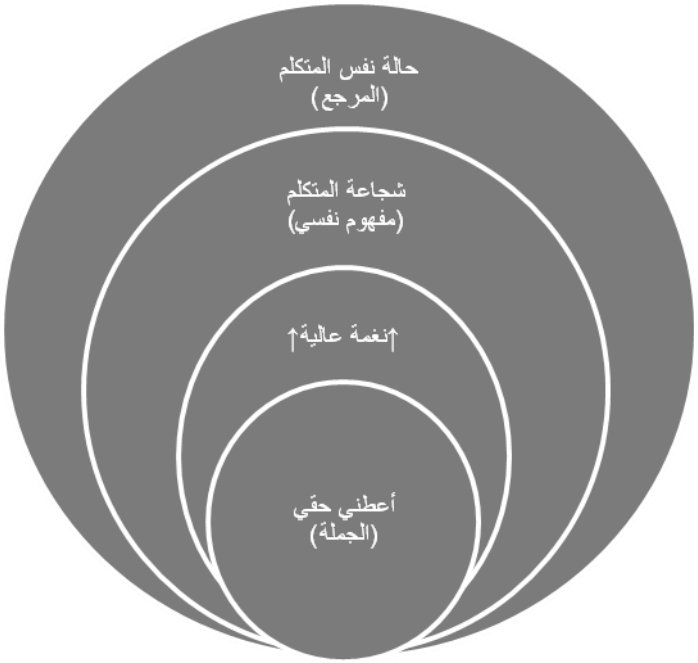

المخطط (٥)

ينتج ممّا تقدّم أنّ النغمة ليس لها معنى مستقل ، فليس لها مرجع خارجي. إنما هي توحي بمعنى وهذا المعنى يختلف مرجعه بحسب معناه . فالخبر بنغمته الواطئة يكون له معنى وهو (الخبر) وهو مفهوم نحوي وضع للجملة المركبة من المسند والمسند إليه.وهذا المفهوم له مرجع خارجي ينطبق عليه وهو جملة : أنت صادق. والنفي ذو النغمة المتوسطة له مفهوم نحوي (النفي) وضع للجملة المنفية. و يصدق على مرجع خارجي هو جملة : ما أنت صادق. والاستفهام بنغمته العالية المنطوقة يُوحي بمعنى نحوي هو (الاستفهام) الذي يصدق على مرجع خارجي هو جملة : أنت صادق؟ ومرجع المفهوم النحوي سيتضح ببيان مكثف في المعنى النحوي. أما النسبة بين طرفي الجملة الإنشائية كالاستفهام والنهي وغيرهما ممّا يتضح عن طريق التنغيم فلا مرجع خارجي لها ((لأنّ الجملة الإنشائية لا واقع لها حتى يقال إنها تطابقه أو لا تطابقه))[٧٨]. وللنغمة دلالة إيحائية نفسية تعبّر عن موجودات داخل النفس الإنسانية التي هي المراجع التي أخذت منها تلك المفاهيم النفسية.

٢- الدّلالة المعجمية تأخذ هذا الدلالة الأصل الذي وضع اللفظ له أو استعمل فيه. وجمع لنا المعجم العربي معاني الألفاظ المستعملة في كلام العرب. وحين نرجع إلى أحد المعاجم العربية نُدرك الأشياء التي تعود إليها هذه الدلالة ، فنجد المعنى واضحاً يشير إلى مرجعه الخارجي. ونختار بعض مفردات المعجم[٧٩] ونوضح ذلك المرجع مع التأكيد على تنوع مرجع الدلالة على النحو الآتي :-

اللفظ	المعنى	المرجع	أقسام المرجع
حدقة العين	سوادها الأعظم	جزء من العين الخارجية	حسي
ساق الشجرة	جذعها	جزء من الشجرة الخارجية	حسي
المطابقة	مشْي المقيّد	فعل خارجي يقوم به الشخص المقيّد	حسي
نسكتُ الشيء	غسلته بالماء وطهّرته	فعل خارجي قام به المتكلم.	حسي
البسالة	الشجاعة	صفة كمال في النفس	مجرد
جلال الله	عظمته	صفة كمال لله	مطلق

٣- الدّلالة الصرفية وهي المفاهيم والصور الذهنية المنتزعة من أبنية الأسماء أو الأفعال[٧٩] و هنا تتعدد الأبنية ، فتتعدد المعاني الصرفية تبعاً لتعدد أبنيتها. ولا نريد التفاصيل في هذا الجانب بل نأخذ مفهوماً صرفياً واحداً ونبيّن مرجعه الخارجي ، فإذا وصلنا إلى معرفة مرجعه عرفنا مراجع المفاهيم الصرفية الأُخر ؛ لأنّ هذه المفاهيم تشترك في خصائصها العامة.

وليكن مفهوم(اسم الفاعل) الذي يُدرس في علم الصرف ، وليس مفهومه النحوي. فهذا المفهوم منتزع من أبنية خاصة تتصل بقسم من أقسام الكلم. وهو الاسم في مقابل الفعل والحرف في التقسيم القديم ، وهذه الأبنية كثيرة تكون من الأفعال الثلاثية المجردة و المزيدة ، ومن الرباعية المجردة و المزيدة على قواعد ثابتة ذكرها علماء الصرف ، ولو كانت أمامنا كلمة (كاتب) مثالاً لاسم الفاعل من الفعل الثلاثي (كتب) و(اسم الفاعل: هو الاسم الذي يصاغ للدّلالة على الحدث ومن قام به) فإنّ مفهوم (اسم الفاعل) معنى صرفي ليس له مرجع خارجي أنتزع منه. لأنّ((المفاهيم التصريفية ليست من قبيل المفاهيم الماهوية ؛ لعدم وجود مصداق عيني خارجي لها كما أنها لا تحكي عن ماهية الأشياء ، وأنها لا تكون داخلة في ماهية الموجود الخارجي ولا في أجزائه ، كما أنها لا تختص بنوع معين من الموجودات ، كما أنها لا توجد إلا بوجود واحد ، وهي ليست ملتقطة من الوجود العيني الخارجي . وإدراكها يحتاج إلى نوع من التحليل والتجرد العقلي ... كما أن المفاهيم التصريفية لا تُدرك بوساطة الحواس))[٨٠].

فإذا كان المفهوم الصرفي لا مرجع خارجي له ، فكيف أوجد الذهن هذه المفاهيم؟ وقد علمنا سابقاً أنّ المفهوم لا يُوجد من غير مرجع . نقول : اسم الفاعل مفهوم انتزع من بناء (كاتب) في هذا

المثال. وهذا اللفظ (كاتب) مرجع لفظي لاسم الفاعل. وكاتب لفظ انتزع مفهومه مباشرة من شخص خارجي قام بالكتابة ما يعني أنّ مفهوم اسم الفاعل يعود إلى مرجع واقعي بصورة غير مباشرة. واسم الفاعل في هذه الحالة مفهوم جزئي ينطبق على لفظ كاتب الذي أُدرك معناه بالحس مباشرة عند رؤية الشخص بالعين. وهذا البيان لا يعني أنّ مفهوم اسم الفاعل يبقى مفهوماً جزئياً يصدق على ذلك المرجع الخارجي (الشخص الكاتب) بصورة غير مباشرة فقط. بل ينتقل بعد ذلك إلى مفهوم كلي ينطبق على جميع الألفاظ التي جاءتْ على الأبنية الخاصة بهذا المفهوم ؛ لأنّ الذهن يجرّده من صفاته المحسوسة ؛ ليكون مفهوماً منطبقاً على تلك الأبنية. ويكون اللفظ الواحد ككاتب مثالاً للتوضيح والبيان. فاسم الفاعل يشمل : كاتب وشاعر وسامع وغيرها من الفعل الثلاثي المجرّد ، ومكرِم ومهذِّب ومكافِح وغيرها من الفعل الثلاثي المزيد. وكذلك مدحرِج ومبعثِر وموسوِس ... من الفعل الرباعي المجرد ، ومتدحرِج ومطمئِن ... من الفعل الرباعي المزيد. وكلّ اسم من هذه الأسماء له مفهوم خاص به أنتزع من الذات التي قامتْ بالفعل. وتلك الذوات تمثل المراجع الخارجية التي أخذ الذهن منها تلك المفاهيم كمفهوم شاعر ومكرم ومطمئن وغيرها من المفاهيم التي انتزعت مباشرة من الأشخاص في الخارج[٨١].

وهذا البيان والتحليل ينطبق على جميع المفاهيم الصرفية فهي تُفهم من الأبنية الصرفية . وكلّ بناء له أمثلة كثيرة. وكلّ مثال له مفهوم ينتزع من إدراك حسي مباشر لحقيقة خارجية هي المرجع الخارجي للمفهوم الصرفي. وهذا يعني أنّ الدّلالة الصرفية معنى جعله الإنسان للتعبير عن المعارف اللغوية التي لها ارتباط غير مباشر بالواقع الخارجي. وتكشف لنا صفات ذلك الواقع وتلك الصفات تمتاز بها الأشياء بعضها من بعض.كما أنها تعطينا قواعد صرفية نافعة في المعرفة الصرفية.وهنا نضع مخططاً يُبيّن حالة تكوين المفاهيم الصرفية بصورة عامة على النحو الآتي :-

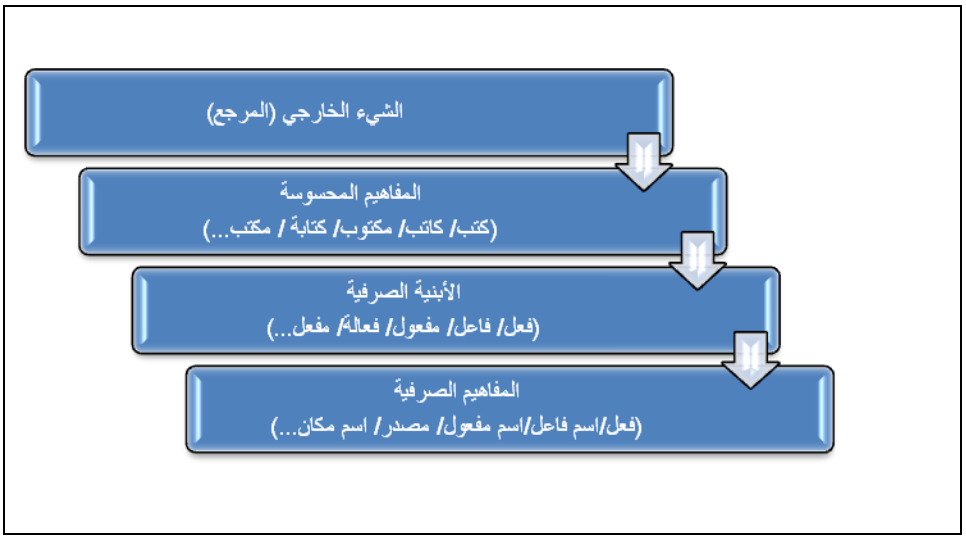

المخطط (٦)

٤– الدّلالة النحوية وهي المفاهيم النحوية المنتزعة من المقارنة بين الألفاظ في التركيب النحوي ويقوم الذهن بانتزاع المفهوم النحوي عندما يقارن بين لفظين في تركيب ، فمفهوم الفاعل جاء من المقارنة العقلية بين لفظين لا يستغني أحدهما عن الآخر في تشكيل تركيب مفيد(الجملة) ، وهما اللفظ المتقدّم وهو الفعل والمتأخر وهو الفاعل ، وكذلك طريقة الحصول على بقية المفاهيم النحوية تتم بهذا النحو من التحليل الذهني. ثم يأتي السؤال عن مرجع المفهوم النحوي بعد معرفة طريق الوصول إلى هذا المفهوم ، فما هو الشيء الخارجي الذي يعود إليه؟

نقول إنّ المفاهيم النحوية على قسمين :–

الأول – المفاهيم المفردة (معاني الأبواب النحوية).

الثانية – المفاهيم المركبة (معاني الجمل والأساليب).

أما المفاهيم المفردة فهي تدل على معنى واحد لا يتجزأ كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به والمفعول لأجله والظرف والحال والتمييز والنعت والمضاف والمجرور وغيرها. وجميع هذه المفاهيم منتزعه بالمقارنة بعضها ببعض داخل التركيب ، ولا تفهم من الألفاظ المفردة. ولتوضيح طريقة التوصل إلى المفهوم النحوي المفرد نحلّل مكونات جملة(قرأ محمد القصة متفكراً) ينظر العقل إلى ألفاظ الجملة ، فيقارن بين لفظ (قرأ) ولفظ (محمد) ، فيسمي الأول فعلاً والثاني فاعلاً. فهما يكونان جملة ، ولكل واحد منهما صفاته الخاصة به من جهة اللفظ والمعنى والموضع. فالفعل مفهوم نحوي وضع للفظ الذي يقع قبل الاسم ويسند إليه ، والفاعل مفهوم وضع للفظ الاسم الذي يأتي بعد الفعل ويسند إليه ذلك الفعل. والقصة لفظ جاء بعد الفعل وفاعله ويقع عليه الفعل من الفاعل فله

ارتباط قوي بهما من أجل أنْ تكون الجملة تامة.وأطلق عليه مفهوم مفعول به ، وأطلق مفهوم الحال على لفظ (متفكراً) بعد ملاحظة كون الفاعل يسند إليه الفعل في هيأة معينة.

ففي هذه الجملة لا نجد مرجعاً مباشراً لمفهوم الفعل أو الفاعل أو المفعول به أو الحال ، فلا يوجد شيء خارجي عيني تدلّ عليه هذه المفاهيم.((فالعالم لا يحوي أشياء تُمثّل المتعدد والمفرد ... والفاعل والمفعول به والتعدية ... إلا أنّ هذه المقولات موجود في الألسنة))[٨٢] و كل منها يدلّ على لفظ معين في الجملة المتقدمة ، فالفعل مفهوم جزئي يصدق على لفظ واحد هو (قرأ) انتزع منه مباشرة ، و فاعل مفهوم جزئي انتزع من لفظ واحد هو(محمد) والمفعول به مفهوم جزئي انتزع من لفظ واحد هو (القصة) والحال مفهوم جزئي انتزع من لفظ واحد هو (متفكراً).

أما المرجع للمفهوم النحوي فهو شيء واقعي تدلّ عليه الجملة. ولا يستند إليه المفهوم مباشرة بل كلمات الجملة تعود مباشرة إلى حقيقة محسوسة. وهي تتكون من لفظ (قرأ) وله معنى منتزع من فعل القراءة الخارجي ، و(محمد) اسم يحمل معنى منتزع من شخص حقيقي يقوم بالقراءة ، ولفظ القصة معناه منتزع من كتاب يحتوي على قصة . و(متفكراً) لفظ له معنى مدرك من حالة محمد العقلية أثناء قراءته للقصة. ويمكن أنْ تتجلى عملية التوصل إلى المفهوم النحوي في المخطط الآتي :–

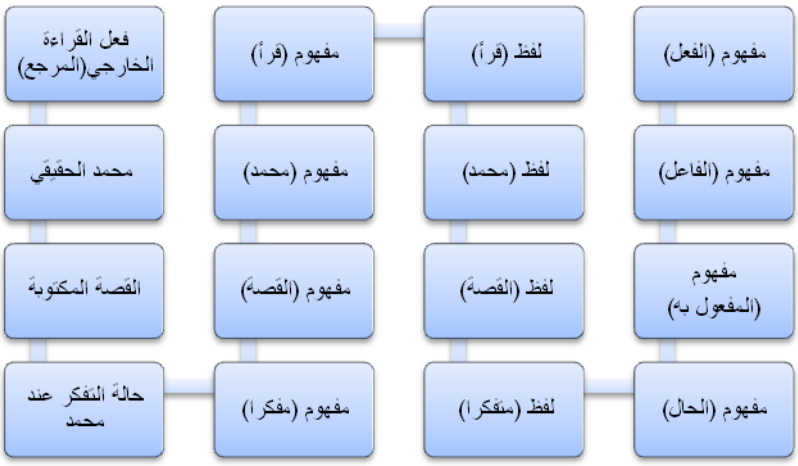

المخطط (٧)

فبعد أنْ يحصل الذهن على المفاهيم النحوية من المعرفة الحسية على النحو المتقدّم إذ يتصل الإنسان بالأشياء الخارجية. ويحصل منها على مفاهيم حقيقية كمفهوم محمد والقصة وقرأ ومتفكراً يضع لها ألفاظ تخطرها عند الذهن متى أراد أنْ يستعملها ، وعند الاستعمال تكونت الجملة المفيدة ثم قام الذهن بدراسة هذه الألفاظ وقارن فيما بينها ، فوضع لكل لفظ مفهوماً نحوياً ينطبق على لفظ واحد

من ألفاظ الجملة. وبعد ذلك جعل هذا المفهوم الجزئي مفهوماً كلياً عن طريق تجريده من خصوصياته ؛ ليكون مصطلحاً يصدق على جميع الألفاظ التي استعملت أو سوف تستعمل في المستقبل. فالفعل مفهوم كلي يصدق على كل لفظ يمتاز بصفات مفهوم الفعل النحوي المفهومة من وجوده في التركيب. ومفهوم فاعل انتقل من مفهوم جزئي إلى مفهوم كلي بالتجريد ليصدق على كل لفظ استعمل أو يستعمل في المستقبل وله صفات الفاعل النحوي في الجملة. وكذلك جميع المفاهيم النحوية تتحول إلى مفاهيم كلية ؛ لتكون قاعدة يعتمد عليها في تمييز الألفاظ بعضها من بعض عند الاستعمال. لذلك ينكشف لنا أنّ المفاهيم النحوية لها منشأ تُنتزع منه بطريقة غير مباشرة وهو الموجود الخارجي بعد أنْ تكون الألفاظ المعبرة عن ذلك الموجود هي مصاديق مباشرة للمفاهيم النحوية. وهذا يكشف أيضاً أهمية المرجع والواقعية في نشأة المفاهيم النحوية وارتباطها بها. ولولا الوجود الخارجي لما وجدتْ مفاهيم حقيقية ، ولولا المفاهيم الحقيقية لما وجدت الألفاظ المعبّرة عنها ، ولولا الألفاظ لما وجدت المفاهيم النحوية.

وأما المفاهيم المركبة تركيباً تاماً ، وهي المفاهيم النحوية التي تتكون من أكثر من مفهوم عند التحليل كمفهوم الجملة الخبرية والجملة الإنشائية كأساليب الاستفهام والنفي والتمني والترجي والنهي والأمر وغيرها.فهي مفاهيم منتزعة من المقارنة بين الألفاظ التي تتكوّن منها هذه الجمل.

طرحت نظرية وجهات النظر الثلاث في تعريف اللسان العالمي التي تشكل إطار دراسة الألسنة وهي ثلاث[٨٣] :-

الأولى – تتناول الجملة في علاقتها بأنظمة ، فتدرس العلاقات بين الكلمات وأسلوب التعبير عن العلاقات (وجهة النظر الصرفية النحوية).

الثانية – تدرس علاقة الجمل بالعالم الخارجي بالنظر إلى المعاني (وجهة النظر الدلالية الإحالية).

الثالثة – تناول الجملة في علاقتها بالمتكلم بها وارتباطه بالمستمع.

واستبعاد واحدة منها ((يتجاهل حقيقة الروابط التي لا تنفصل عراها بين الثلاث ... والاقتصار على وجهة النظر[٨٤] يعني تناسي المعنى الناتج والعلاقات بين المتكلمين والاقتصار على وجهة النظر الصرفية النحوية يقودنا ... إلى شكلنة لظاهرة المعنى وللعمليات التي تتيح بناءه وتأويله تقوم على مبادئ من نمط المبادئ المنطقية الرياضية ...))[٨٥] .

ويمكننا أنْ نذكر أقسام الجملة الأساسية المتفق عليها ، ونحاول أنْ نبيّنَ الإجابة عن السؤال الآتي : هل جميع الجمل لها مرجع خارجي ترجع إليه؟ كما في حال الألفاظ المفردة التي اتضح لنا مرجعها الخارجي بشكل جلي. وهل ذلك المرجع شيء واحد كمرجع المعنى المفرد أو مرجع الجملة له

شأن آخر يختلف عن مرجع المفرد ؟ قبل الإجابة نفكك حقيقة الجملة بعد بيان أقسامها على النحو الآتي :-

ا- الجملة الخبرية وهي ذات معنى له واقعية خارج ألفاظها. قد يطابق معناها تلك الواقعية ، فيكون الكلام صادقاً. أو لا يطابقها ، فيكون كاذباً. وهي على قسمين :-

١-١- الجملة الاسمية وتمتاز بما يأتي :-

أ- تتكون من معاني اسمية كما في جملة (محمد عالم) ففيها معنى محمد ومعنى عالم .

ويسمى الأول مبتدأً والثاني خبراً. فالمبتدأ مفهوم نحوي يصدق على لفظ واحد في الجملة يسند إليه الخبر، والخبر مفهوم نحوي آخر يصدق على لفظ آخر من الجملة تتمّ به الفائدة. وينتزعان عن طريق المقارنة الذهنية بين لفظين يشكلان تلك الجملة.

ب- النسبة التامة وهي الرابطة بين المبتدأ والخبر. والتي تربط بين معاني كلمات الجملة لتتكون منها دلالة الجملة التامة.

ج- النسبة الخارجية وهي حقيقة اتصاف محمد بصفة العلم في الوجود العيني (الخارجي). وهي ارتباط واقعي بين الحقائق الخارجية. فالعلم في الخارج مرتبط ومتحد بذات محمد وشخصه.

١-٢- الجملة الفعلية ، وفيها ما في الجملة الاسمية من المعاني الاسمية المستقلة المفهومة من كلماتها كما في جملة (فرح محمد) ففيها معنى مستقل للفعل فرح ومعنى لمحمد ، وفيها نسبة تامة وهي الربط بين الفعل والفاعل.ونسبة خارجية التي هي المرجع في تشكيل النسبة الذهنية ثم التعبير بالجملة عنهما ، فالنسبة الخارجية لجملة (فرح محمد) هي : حصل فرح من محمد.

وهذه النسبة الرابطة تكون على قسمين :-

الأولى : النسبة الذهنية وهي الارتباط بين كلمات الجملة سواء كانت جملة اسمية أم خبرية.

النسبة الثانية : النسبة الخارجية وهي حقيقة واقعة تكون مرجعاً لمعنى الجملة التام . فتأتي الجملة عند المتكلم لتخبر عن تلك الحقيقة المتحققة في الخارج. فيكون الكلام صادقاً لانطباق نسبته الذهنية على نسبته الواقعية. أو لا تتطابق النسبتان ، فتكون الجملة كاذبة. لذلك قيـــــل عن الخبر:((ما يحتمل الصدق والكذب أو بعبارة أخرى ما له في الخارج نسبه تصدّقه أو لا تصدّقه))[٨٦]

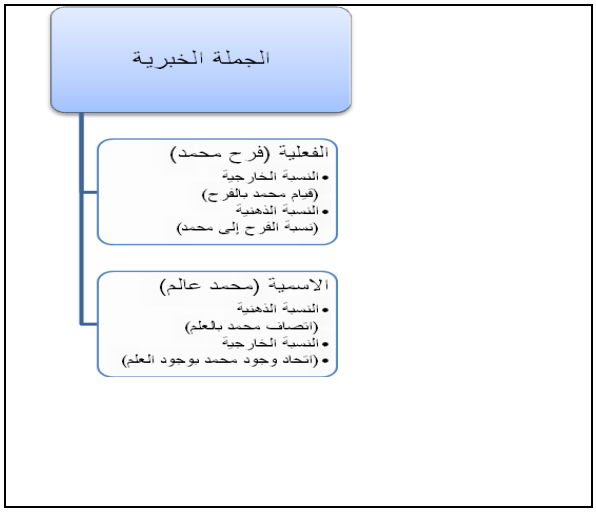

مخطط (٨)

وتتجلى لنا مراجع الجملة الخبرية التي تحيل عليها المعاني والمفاهيم على النحو الآتي :-

مفاهيم كل كلمة مستقلة كمفهوم محمد ومفهوم عالم ومفهوم فرح. وهي مفاهيم ماهوية تعبّر عن الأشياء الخارجية وهي ذات محمد وشخصيته وصفة العالم وفعل الفرح.

مفهوم الجملة التام وهو الخبر عن اتصاف محمد بالعلم في الجملة الاسمية. والخبر عن فرح محمد وهو معنى يُدركه الذّهن من النسبة الرابطة بين معاني كلمات الجملة.

النسبة الخارجية المتحققة في الخارج والتي هي المقياس في صدق الجملة وكذبها. فإذا كان معنى الجملة منطبقاً على الواقع الخارجي (نسبتها الخارجية)صدقتْ. وإذا لم ينطبق على ذلك الواقع كذبتْ. وهذا يعني أنّ الجملة يكوّنها الذهن من رؤية الواقعية الخارجية ؛ ليخبر عنها بعد أنْ يربط بين المفاهيم المفردة بوساطة النسبة التي تجعل المعنى مفيداً وكاملاً سواء أكان التركيب صادقاً أم كاذباً بالقياس إلى مرجعه وواقعه الذي يدور حوله معنى الجملة.

٢- الجملة الإنشائية وهي ((موضوعة للنسبة التامة منظوراً إليها بما هي نسبة يُراد تحقيقها))[٨٧]

فلا تكون لها نسبة خارجية (حقيقة ثابتة) واللفظ يُوجد النسبة بقصد المتكلم. أي المتكلم يحقّق المعنى بالجملة[٨٨]. وهذا التعريف يشمل جميع الجمل الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني والترجي وغيرها. ومما تقدّم انكشف لنا أنّ الجملة الإنشائية لا مرجع خارجي لها وإنْ كانتْ تحمل معنى تاماً يُراد تحقّقه في الخارج من قبل المخاطَب.

وقد يرى بعضهم أنّ الجمل الإنشائية لها نسبة خارجية كما قيل((أما الجملة الإنشائية فليس القصد منها إفادة أنّ محتواها يطابق نسبتها الخارجية ، وإنما القصد إلى إنشائها... قول الشاعر: ((ليت الكواكب تدنو فأنظمها)) فيه نسبة كلامية هي تمني دنو الكواكب وله نسبة خارجية هي قيام هذا التمني في النفس ، ويحتمل أنْ يكون هذا التمني القلبي قائماً فتكون النسبة الخارجية مطابقة ويوصف الكلام بالصدق ، وأنْ يكون هذا التمني القلبي غير قائم وأنْ يكون قد ادّعى ذلك في اللفظ فقط ويوصف الكلام حينئذ بالكذب. ولكن ليس المقصود من الجملة هو الإخبار بمطابقة هذه النسبة لتلك ، وإنما المقصود هو إنشاء هذا المعنى))[٨٩].

يبدو عند التحليل أنّ في هذا النص تفكيكاً بين أمرين وهما النسبة التامة (الذهنية) وهي المعنى التام للجملة الإنشائية وبين قيام هذه النسبة في النفس وحدوثها. وبالتأمل لا يُوجد فرق بينهما. فهما شيء واحد. فالتمني معنى نفسي يُعبّر عنه بهذا اللفظ المركب وهذا اللفظ يحمل معنى هو نفسه الذي وجد في النفس.ولا يوجد له نسبة خارجية تتمثل في حقيقة اتصاف الكواكب بالدنو كما هو الحال في الأمر في قولك : أكتب قصةً. فلهذه الجملة نسبة تامة وهي طلبك للمخاطَب بكتابة قصة. وهذا المعنى التام هو ما خطر في ذهنك وأوجدته بوجود الكلام. ولا يمثل نسبة خارجية للنسبة الكلامية لأنهما شيء واحد هو النسبة الكلامية التامة. والتي ليس لها واقع خارجي تنطبق أو لا تنطبق عليه لأنها معنى طلبي يُراد تحققه بعد الطلب. ويمكننا أنْ نبيّن خلو الجملة الإنشائية من المرجع الخارجي (النسبة الخارجية) في هذا المخطط :-

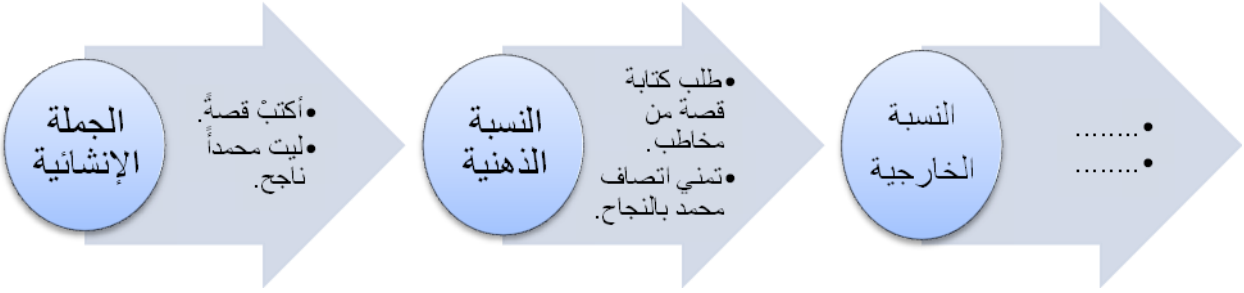

المخطط (٩)

الخاتمة

اعتنى البحث بالعلاقة القوية والأصيلة بين المعنى والمرجع بعد أنْ وجد أمامه إشكالات معرفية على هذه العلاقة من أجل تهشيم الروابط الأصيلة بينهما ولغرض تهميش المرجع في البحث الدلالي ثمّ استبعاده كلياً من الدرس اللغوي في الدلالة. وقد انبرى البحث في مساراته لتحليل هذه الإشكالات ووضع لها الحلول المناسبة ، فحصل على ما يأتي من الثمرات :-

* المرجع أصل يُنتزع منه المفهوم مباشرة كما في المفاهيم الحقيقية كمفهوم ماء أخذه الذهن من رؤية الماء الخارجي (المرجع).أو بصورة غير مباشرة كالمفاهيم اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية كمفهوم الفعل الذي هو مفهوم صرفي انتزع من لفظ مفرد مثل(شرب)ومفهوم هذا اللفظ منتزع من فعل قام به شخص في الخارج.وهذا الفعل الخارجي هو مرجع غير مباشر لمفهوم (الفعل)في علم الصرف.
* يستحيل وجود مفهوم من غير مرجع خارجي أو وهمي يحصل في الذهن ؛ لذلك اندفع البحث بقناعة كبيرة من أجل استحضار حركية المرجع وبيان ثمراته الدلالية في تأسيس الدلالة على وجود المرجع. فوجب على الباحث تبيين حقيقة المرجع وأقسامه فضلاً عن الوجود ومراتبه ؛ لأنّ الوجود هو الفعّال في تجلي المرجع و ظهوره في ظرف الوجود.
* هناك عدم دقة في فهم المعنى بالقياس إلى مرجعه عند المحدثين. فبعضهم رأى أنّ المعنى هو الشيء الخارجي وهذه الرؤية خلاف الواقع بالبداهة. فمعنى الشيء غير الشيء ويستحيل أنْ ينتقل الوجود الخارجي إلى الوجود الذهني.
* طرحت رؤية وجود مرجعين للمعنى أحدهما للكلام والثاني يعرفه المتلقي من هذا الكلام. وأجيب عنها بأنّ المفهوم الحقيقي له مرجع واحد في الخارج ؛ لأنه يعكس مباشرة تلك الحقيقة.

وإذا كان المعنى يصدق على أكثر من مصداق فيجب على المتكلم قصد مصداق واحد وأنْ يحدده بدقة.

* إشكالية عدم قدرة المعنى على الإحاطة بحقيقة المرجع. ما يدفع بقوة إلى تجنب دراسته في علم الدلالة. والإجابة واضحة وهي أنّ المعنى صورة ذهنية عن الشيء وليس حقيقته. ومن الممتنع انتقال الحقائق الخارجية إلى الوجود الذهني. ونحن ندرك بواسطة هذه المفاهيم حدود الأشياء فنميز بعضها من بعض بفضل المعنى.
* إشكالية الكلمات ليس لها معنى مستقل قبل التركيب. فتأخذ معناها من الاستعمال ما يعنى لا يوجد مرجع تدلّ عليه قبل هذا الاستعمال. وأجيب عليها بأنّها تلغي نظرية الوضع الأول فالكلمة وضعت لمعنى مستقل قبل استعماله.والردّ الثاني هو استعمال لفظ مهمل في تركيب لا يُعطيه معنى بل يبقى

فاقداً للمعنى فضلاً عن أنّ التركيب كله لا معنى له لعدم تحقق النسبة التامة.كما أنّ الكلمة تدلّ على معنى مستقل عند سماعها منفردة خارجة عن الجملة.

* إشكالية تطور المرجع وبقاء اللفظ ومعناه على حالته الأولى والإجابة أنّ المرجع يبقى محتفظاً بغايته وهدفه فيكون المعنى الأول مطابقاً له وصادقاً للتعبير عنه ويمكننا أنْ نظيف بعض الصفات على المعنى السابق للتعبير عن التطورات الجديدة الحاصلة على الشيء الخارجي.أو نأتي بلفظ جديد ينطبق معناه على هذا المرجع المتطور أو المرجع الجديد.
* إشكالية الجهل بمرجع الحرف. وحلها كان بمعرفة الوجود الرابط وهو معنى الحرف ، فالحروف ليس لها معنى مستقل بل معناها الربط أو النسبة التامة بين طرفين.التي لها نسبة تامة خارجية هي مرجع النسبة الذهنية.
* تقدّيم المرجع وأقسامه على المعنى وأقسامه في البحث ؛ لأنه أصل المعنى فيحصل المعنى بسبب وجود المرجع ويتصف بصفاته.فالمرجع قسّم على المطلق والمجرد والمحسوس والمتوهم واللفظي.وهي ترتبط بالوجود ومراتبه.
* اتبع البحث تقسيم علم الدلالة للمعنى. فالدلالة الصوتية لا تفهم من الصوت المفرد ؛ لأنه خال من المعنى. و أصوات الكلمة لها معنى مستقل يدل على فعل أو حدث خارجي الذي هو مرجع للمعنى.كما أنّ التنغيم يعبر عن معان تمثل الحالات النفسية التي هي مراجع خارجية موجود في النفس حاضرة لديها.
* الدلالة المعجمية لها مراجع مباشرة حقيقية تنتزع منها.
* الدلالة الصرفية تفهم من أبنية الأسماء والأفعال. وهي منتزعة من ألفاظ الأسماء وألفاظ الأفعال وهذه الأخيرة لها مفاهيم منتزعة من مصاديق خارجية. فالمرجع الخارجي يكون لمعنى الاسم (بيت) وهذا اللفظ مصداق لبناء (فَعْل)الذي هو مصداق لمفهوم اسم في علم الصرف.
* المعنى النحو له مصداق غير مباشر كما هو حال مصداق المفهوم الصرفي ولكن المعنى النحوي يفهم من التركيب وليس من اللفظ المفرد.
* الجملة الخبرية كلماتها لها مراجع خارجية ، ولها نسبة تامة ذهنية ولها نسبة خارجية وهي عبارة عن ارتباط واقعي بين الأشياء الخارجية. والذهنية تنطبق على الخارجية أو لا تنطبق.
* الجملة الإنشائية لها نسبة تامة ذهنية ولا توجد لها نسبة خارجية.

الهوامش

١ – ينظر علم الدلالة – د.أحمد مختار : ١١. ذكر هذه التعريفات الأربعة.يقال:التعريف الأول للعالم الفرنسي ميشال بريال في سنة ١٨٨٣م. ينظر: علم الدلالة – كلود جرمان ، مقدمة المترجم:٧. وعلم الدلالة – دراسة وتطبيقاً – نور الهدى لوشن :٢٣.

٢ – علم الدّلالة – بييرجيرو :١٥.

٣ – المصدر نفسه : ١٧.

٤ – علم الدلالة – د . فريد عوض : ١٤. نقلاً عن : معجم علم اللغة النظري – د. محمد علي الخولي : ٢٥١.

٥ – ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين – د. عواطف المصطفى :٣٤.

٦ – علم الدّلالة المقارن – د. حازم علي : ١٩. نقلاً عن الدّلالة اللغوية عند العرب : ١٢–١٣.

٧ – ينظر : مدخل إلى علم الدّلالة – فرانك بالمر : ٧٣.

٨– مدخل جديد إلى الفلسفة – د. عبد الرحمن بدوي : ٢٥٧. * الصواب : الرئيس.

٩ – مدخل إلى علم الدلالة : ٥٤–٥٥. والمرجع يقصد به المعنى. ولا نأخذ بهذا المصطلح. وعندي المرجع هو الشيء الخارجي.

١٠ – ينظر : المصدر نفسه : ٥٦.

١١– علم الدلالة – د. عبد الجليل منقور :٥٨. وينظر : مدخل إلى علم الدّلالة :٦٤((المرجع هو الشيء الموجود في عالمنا الخارجي)).

١٢ ينظر : المصدر نفسه :.٥٩

١٣– ينظر : مدخل في اللسانيات – صالح الكشو :٣٨–٣٩ .

١٤ – ينظر : المصدر نفسه : ٦٩.

١٥– ينظر : التفكير الدلالي عند المعتزلة – د.علي حاتم الحسن :.١١٥

١٦– ينظر :مدخل إلى علم الدّلالة :.٩١

١٧– ينظر : علم الدلالة – د– عبد الجليل منقور :.٦٠

١٨– ينظر : المصدر نفسه :٦١.

١٩– التفكير الدّلالي عند المعتزلة :٢٧.

٢٠– ينظر : علم الدّلالة – كلود جرمان : ٤١ و.٤٦

٢١– دروس في الحكمة المتعالية – كمال الحيدري : ٢/ ١٣٢.

٢٢– دور الكلمة في اللغة : ٥٨.

٢٣– مدخل لفهم اللسانيات – روبير مارتان : .١٢٧

٢٤– ينظر : علم الدّلالة : د. عبد الجليل منقور :٨٤.

٢٥– مدخل إلى علم الدّلالة – بالمر : ٩٤.

٢٦– دروس في الحكمة المتعالية : ٢/ ١٢٧– ١٢٨.

٢٧- ينظر : علم الدّلالة – بييرجيرو : ٤٢-٤٣. و ١٥٧ .

٢٨- ينظر المصدر نفسه : ١٥٧.

٢٩- علم الدّلالة – كلود جرمان :.٣٠

٣٠- المصدر نفسه : ٥٣.

٣١- الكينونة والزمان : ٢٩٤.

٣٢- ينظر : علم الدلالة – كلود جرمان : ٤٧ – ٤٨.

٣٣- ينظر : علم الدلالة – بييرجيرو : ١١٣. وعلم الدلالة – كلود جرمان : ٥٧.

٣٤- ينظر: علم الدّلالة – بييرجيرو : ١١٣.

٣٥- ينظر : المصدر نفسه : ١١٤ – ١١٥.

٣٦- ينظر : علم الدلالة – كلود جرمان : ٥٧.

٣٧- ينظر : دور الكلمة في اللغة : ٧٨.

٣٨- دور الكلمة في اللغة : ٢٢٧. ولسانيات الخطاب وأنساق الثقافة : ٣٩((حركة المعنى نحو المرجع مهمة جداً في عملية التأويل ومهارة الناقد تتبلور في قدرته على البحث في العلاقة بين العلامة اللغوية ومرجعها ... لأنّ اللغة هي الوسيط الأساس لفهم الفكر والواقع / المجتمع)).

٣٩- مدخل لفهم اللسانيات – روبير مارتان : ١٢٣.

٤٠- الكينونة والوجود : ٢٩٨.

٤١- ينظر : نظرية علم الدّلالة (السيمانطيقا) – راث كيمبسون :٢٢.

٤٢- ينظر: المصدر نفسه ٢٣.

٤٣- البحث النحوي عند الأصوليين – د. مصطفى جمال الدين : ٦٦.

٤٤ – ينظر : تأملات في فلسفة اللغة : ١٨٩.

٤٥- ينظر : مبادئ الفلسفة الإسلامية : ٣١٤/١.

٤٦- الجنى الداني في حروف المعاني : ٢٠.

٤٧- ينظر : البحث النحوي عند الأصوليين :٦٥-٦٦.و المعنى وظلال المعنى – أنظمة الدلالة في العربية – د. محمد محمد يونس : ١١٢.

٤٨- ينظر : دروس في علم الأصول – محمد باقر الصدر : ٣٠٦.

٤٩- البحث النحوي عند الأصوليين : ١٨٠.

٥٠- ينظر : مبادئ الفلسفة – عبد الجبار الرفاعي :١/ ١٧٩.

٥١- ينظر : الكينونة والزمان – مارتن هيدغر : ٥٠ و٥٢.

٥٢- ينظر : مبادئ الفلسفة :٢٢٠/١.

٥٣- ينظر: معيار العلم – الغزالي : ٧٥، وعلم الدّلالة – د. عبد الجليل منقور :٣٣. و ابستيمولوجيا علم التصريف العربي – د. جاسم صادق : ٤٧.

٥٤- ينظر : الكينونة والزمان : ٥٦.

٥٥- ديوانه : ١١٨.

٥٦- ديوانه : ١٨.

٥٧- دروس في الحكمة المتعالية : ١٢٩/٢.

٥٨ – ديوانه : ٢٨٧.

٥٩- ينظر : المرجع والدّلالة في الفكر اللساني الحديث : ٣٣.

٦٠- التداولية من أوستن إلى غوفمان – فيليب بلانشيه : ٤٤.

٦١- ينظر : أصول الفلسفة والمنهج الواقعي : ٥١٧/١ – ٥٢٣.

٦٢- ديوانه : ٤٣٧.

٦٣- ديوانه : ٢٨٨.

٦٤- أسرار البلاغة : ٢٦٨.

٦٥- ينظر : الخطاب وخصائص اللغة العربية – أحمد المتوكل : ٧٤.

٦٦- ينظر : دلالة الألفاظ – د. إبراهيم أنيس : ٣٥- ٣٦. و الدلالة السياقية عند اللغويين : ٣٧- ٥١.

٦٧- الألسنية – محاضرات في علم الدّلالة – د. نسيم عون : ١٥٤-١٥٥.

٦٨- ينظر : محاضرات في الصوت والمعنى – رومان ياكوبسون : ١٤٣.

٦٩- دلالة الألفاظ : ٣٥.

٧٠- الدلالة السياقية عند اللغويين :٤٤.

٧١- علم الأصوات اللغوية – د . مناف مهدي :١٣٤.

٧٢- ينظر : دلالة الألفاظ :٣٦.

٧٣- ينظر : مصطلحات الدلالة العربية – دراسة في ضوء علم اللغة الحديث – د. جاسم محمد :١٠٧.

٧٤- محاضرات في الصوت والمعنى : ٩١.

٧٥- ينظر : علم الأصوات اللغوية : ١٣٥.

٧٦- المصدر نفسه : ٩١ – ٩٢.

٧٧- في التنظيم الإيقاعي للغة العربية – مبارك حنون : ٤٢.

٧٨- إبستيمولوجيا علم التصريف العربي : ٥٠.

٧٩- هذه الألفاظ ومعانيها من تاج اللغة وصحاح العربية – الجوهري ج٤:المواد (حدق) و(سوق) و(طبق)و(نسق) و(بسل) و(جلل).

٨٠- ينظر : المصدر نفسه : ٢٨.

٨١- المصدر نفسه : ٦٠ – ٦١.

٨٢- لمعرفة مراحل انتقال المفاهيم الصرفية ينظر : المصدر نفسه : ٧٠ – ٧١.

٨٣- إنسان الكلام – مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية – كلود حجاج : ١٧٠.

٨٤- ينظر : إنسان الكلام – مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية :٢٧٤.

٨٥- المصدر نفسه : ٢٧٤- ٢٧٥.

٨٦- نحو المعاني : أحمد عبد الستار الجواري : ١١٠. وينظر : المنطق – المظفر:١/٤٧.

٨٧- دروس في علم الأصول : ٣٠٨.

٨٨ – ينظر : المنطق :٤٨.

٨٩- دلالات التراكيب – دراسة بلاغية – د.محمد محمد أبو موسى : ١٩٠.

المصادر والمراجع

- إبستيمولوجيا علم التصريف العربي – أطروحة دكتوراه – جاسم صادق غالب الموسوي ، جامعة البصرة . كلية الآداب ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- أسرار البلاغة في علم البيان – عبد القاهر الجرجاني(ت :٤٧١هـ)علّق حواشيه السيد محمّد رشيد رضا.ط١، دار المعرفة. بيروت – لبنان ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الألسنية محاضرات في علم الدّلالة- د.نسيم عون ، ط١- دار الفارابي،بيروت- لبنان -٢٠٠٥م.
- البحث الدّلالي عند الأصوليين- د. مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد.العراق- ١٩٨٠م.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان- فيليب بلانشيه. ترجمة صابر الحباشة ط١، دار الحوار. سورية – ٢٠٠٧م.
- التفكير الدّلالي عند المعتزلة – د. علي حاتم الحسن. ط٢، دار الكتاب الجديدة المتحدة. لبنان .٢٠١٣م.
- الجنى الداني في حروف المعاني – صنعة الحسن بن قاسم المرادي (ت:٧٤٩هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، و أ. محمد نديم فاضل ، ط١.دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية – دراسة في الوظيفة والبنية والنمط – أحمد المتوكل.ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت – لبنان .١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- الدّلالة السياقية عند اللغويين – د. عواطف كنوش المصطفى. ط١، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع . لندن ، ٢٠٠٧م.
- إنسان الكلام – مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية – كلود حجاج ، ترجمة : د. رضوان ظاظا. ط١، المنظمة العربية للترجمة . دار الطبيعة للطباعة والنشر. بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣م.
- تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٨هـ) ط٤. دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- تأملات في فلسفة اللغة(خصوصيات اللغة العربية وإمكاناتها)د. عمر ظاهر . ط١، دار الرافدين – بيروت – لبنان .١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- دروس في الحكمة المتعالية – كمال الحيدري. ط٣ ، دار فراقد للطباعة والنشر- إيران .١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- دروس في علم الأصول- محمد باقر الصدر.ط٣ ، دارالتعارف للمطبوعات. بيروت- لبنان ١٤٣٠/٢٠٠٩م.
- دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية – د.محمّد محمّد أبو موسى.ط٤، مكتبة وهبة – القاهرة ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- دلالة الألفاظ – د. إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة . ٢٠٠٤م.
- ديوان أبي فراس الحمداني – شرح د. خليل الدويهي . ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ديوان الشريف الرضي(ت :٤٠٦هـ)صنعة أبي حكيم الخبري (ت :٤٧٦هـ)تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو . ط١ ، وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

– ديوان جميل – جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج.مكتبة مصر للطباعة(د:ت).
– ديوان حسان بن ثابت– حققه وعلّق عليه د.وليد عرفات ، دار صادر – بيروت، ٢٠٠٦م.
– دور الكلمة في اللغة – ستيفن أولمان . ترجمة د. كمال بشر، ط١٢– دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة . ١٩٩٧م.
شرح ديوان المتنبي – وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، راجعه وفهرسه د. يوسف الشيخ محمد البقاعي – دار الكتاب العربي . بيروت – ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
– علم الأصوات اللغوية – د.مناف مهدي الموسوي. ط٣، دار الكتب العلمية – بغداد ، ١٤١٩هـ/٢٠٠٧م.
– علم الدّلالة – د. أحمد مختار عمر. ط٥، عالم الكتب – القاهرة. ١٩٩٨م.
– علم الدّلالة – بييرجيرو.ترجمه عن الفرنسية د. منذر عياشي . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق. ١٩٩٢م.
– علم الدّلالة – كلود جرمان وريمون لوبون . ترجمة د. نور الهدى لوشن ، ط١. منشورات جامعة قاريونس – ١٩٩٧م.
– علم الدّلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي – د. عبد الجليل منقور . منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق – ٢٠٠١م.
– علم الدّلالة المقارن – د. حازم علي . ط١، مكتبة الآداب – القاهرة .١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
– علم الدّلالة ، دراسة نظرية وتطبيقية – د. فريد عوض حيدر. ط١، مكتبة الآداب – القاهرة .١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
– علم الدّلالة ، دراسةً وتطبيقاً – د. نور الهدى لوشن.ط١، منشورات جامعة قاريونس. ١٩٩٥م.
– في التنظيم الإيقاعي للغة العربية ، نموذج الوقف – مبارك حنون. ط١، دار الأمان ، الرباط– ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
– الكينونة والزمان – مارتن هيدغر. ترجمة وتقديم وتعليق د. فتحي المسكيني ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت – لبنان . ٢٠١٢م.
– لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة – د.عبد الفتاح أحمد يوسف . ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت – لبنان ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
– مبادئ الفلسفة الإسلامية – عبد الجبار الرفاعي. مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
– محاضرات في الصوت والمعنى – رومان ياكوبسن. ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح . ط١ ، المركز الثقافي العربي . لبنان – ١٩٩٤م.
– مدخل إلى علم الدلالة – فرانك بالمر ، ترجمة د. خالد محمود جمعة. ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع . الكويت – ١٩٩٧م.
– مدخل جديد إلى الفلسفة – د.عبد الرحمن بدوي. ط١، دار مدين – بغداد ، ١٤٢٨م.
– مدخل في اللسانيات – صالح الكشو.الدار العربية للكتاب ، تونس – ١٩٨٥م.
– مدخل لفهم اللسانيات – روبير مارتان. ترجمة د. عبد القادر المهيري ، ط١، المنظمة العربية للترجمة – بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧م.

- المرجع والدّلالة في الفكر اللساني الحديث – تأليف جماعي ، ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني .أفريقيا الشرق. بيروت – لبنان ،٢٠٠٠م.
- مصطلحات الدّلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث – د. جاسم محمد عبد العبود. ط١، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- المنطق – محمد رضا المظفر. ط١ ، منشورات فيروزآبادي .إيران ١٣٢١هـ.
- معيار العلم – أبو حامد الغزالي(ت:٥٠٥هـ) – تحقيق د.سليمان دنيا. دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.
- نحو المعاني – د أحمد عبد الستار الجواري . ط جديدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ٢٠٠٦م.
- نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا) راث كيمبسون . ترجمة عبد القادر قنيني. ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت – لبنان ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

Abstract

Some problematic issues raised in semantics, the study of meaning are represented in the relation of significance to the signified (outside world). These issues can be summarized as follows:

1- significance is the same as the signified this proves to be false simply because of the clear difference between the cognitive meaning and its signified found in the outside world
2- significance has a variety of references in the sense that a signifier not determine its signified It has become clear that significance reflects directly only one outside world reality whose concept is taken out from.
3- significance does not represent reality in a direct way it has been proven that significance is a mental visualization which discloses character rustics signified to be fully represented in mind.
4- words do not have an independent significance without begin used it is only usage through which words gain their significance This paper has confirmed that some words have their own independent significance such independent significance is understood when words are used and comprehended out of context. Hence usage does not give significance to forms which originally do not have their own independent significance. Therefore it has become clear that significance of words already exists before usage and it is taken from the outside world.
5-Ignorance of the reference of prepositions. The paper has found out that prepositions have relational significance between two independent concept and these prepositions do not carry any independent meaning out of context .

The research has ascertained the reference or the signified in the outside world is crucial to the semantic research. Out of this end, the following consequences are reached at :

1-Without the outside world reference, mind cannot get significance of things.
2-Reference has variant from, sensible, abstract, unrealistic, and verbal.
3-Types of significance have outside world references that would be direct like the lexical reference which is taken out from the signified, or like an indirect reference as in the syntactic and grammatical significance.

4-Noune and pronouns have known references in sentences where they do not but refer to one signified.

5- A declarative sentence has more than one reference represented by all its independent words, references. The whole reference is regarded as the relation of parts of such a sentence.

6-Other types of sentences have their own full significance between two or more concepts, but they do not have references.